

فصول في

أَحْيَاءُ الْهِنْدِ

الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية
وعلاقة التصوف بها

تأليف

الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي

الأستاذ بالجامعة الإسلامية

المدينة المنورة



دار البهار للنشر والتوزيع

المدينة المنورة - بريدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه
أجمعين. أما بعد:

فهذه رسالة لطيفة عن أديان الهند - الهندوسية والبوذية والجينية
والسيخية. وكانت علاقتي بهذا الموضوع منذ أكثر من عشرين سنة
عند ما كتبت عدة مقالات عن الهندوسية في مجلة الجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية، ثم انقطعت عنها لانشغالي ببحوث أخرى. ولكن لم
أزل منذ ذلك الوقت أمعن النظر في كتب القوم كلما وجدت فرصة.
وعندما صدر كتابي "اليهودية والمسيحية" في عام ١٤٠٩ هـ كان
لزاماً عليّ أن أكمل هذا الجزء المتعلق بأديان الهند وفاءً للوعد الذي
وعدته في مقدمته.

والحمد لله قد جاء هذا اليوم، وأنا أنتهي من تأليف هذه الرسالة.
وتغمرني السعادة النفسية لما يعيش فيه المسلم المتمسك بدينه وعقيدته،
وهو يرى حوله الملايين من البشر يتيهون في ظلمات جهل وضلال
فيسجد شاكرًا لله القائل:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

والقائل سبحانه وتعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنْ أَوْهَنَ الْيُوتُ لَبِثُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

والقائل سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾^(٢).

فيا أخي القاري الكريم عليك أن تفهم دين الله، وتتفقه فيه. ومن أعظم الفقه معرفة توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته. وسوف ترى في الصفحات القادمة كيف ضلَّ شعبٌ بأكمله فاتخذ من دون الله آلهة كثيرة من الشجر والحجر، ومن الإنس والجن، ومن القوى الطبيعية، وصدق القائل: فرُّوا من إله واحد فوقعوا تحت أيدي آله كثيرة. وقد قيل أيضاً:

إن سَجْدَةً واحدةً لله تعالى تُنجِّيك من آلاف السجود للآلهة الكثيرة.

المنهج الذي سرت عليه في هذا الكتاب:

١ - حاولتُ عرض المسائل على ضوء آراء أصحابها.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤١.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٣.

٢- حاولتُ أن لا أسبَّ آلهتهم، ولا أصفهم إلا كما وصفوها مُتبعاً في ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١).

٣- ولم أكتفِ بعرض المسائل فقط، فكثيراً ما أوجه إليها النقدَ تاريخياً وعقلياً من خلال كتبهم.

٤- حاولتُ أن أعرض القضايا باختصار شديد، ولم أدخل في تفاصيلها. فإنها لا تنتهي لكثرة الخلافات فيما بينهم، لأنهم جمعوا في كتبهم آراءً متناقضة، وذلك لغياب الإسناد والعقيدة الأساسية. فليس شيء في دينهم موثقاً به يمكن الاعتماد عليه. فمعظم الروايات تعتمد على الشهرة، وقد اعترف كثير من علمائهم بأن الهندوس لم يحافظوا على تاريخهم وتراثهم مثل العرب واليونان.

٥- وكان اعتمادي في الغالب على ما كتبه الهندوس أنفسهم في كتبهم، فترى خلال البحث ذكر كثير من علمائهم القدماء، وعلمائهم المُحدثين الذين لهم وزن وثقل في دينهم، وأغفل أحياناً ذكر المصادر لأجل الشهرة واعتماداً على معلوماتي.

وكان من فضل الله عليّ أن كُلفتُ بتدريس مادة الأديان والفرق

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

في كلية الحديث الشريف في عامي ١٤٠٠هـ و ١٤٠١هـ، فتجمعت
لديّ مواد لا بأس بها فأصدرت منها الجزء الأول "اليهودية والمسيحية"
في عام ١٤٠٩هـ.

والآن بعد التهذيب والترتيب والإضافة إليها، أقدم الجزء الثاني
وسميته "فصول في أديان الهند" ليستفيد منه طلبة العلم عموماً،
والقائمون بالدعوة والإرشاد في المجتمعات الوثنية خصوصاً سائلاً الله
عز وجل أن يهدينا سبل السلام، ويُميتنا على الإيمان والإسلام.
وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين..

تم تحرير هذا الكتاب بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
بتاريخ ١٤١٢/٦/١٥هـ
د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي
وأعيد النظر فيه بتاريخ ١٤١٦/١٢/٢٥هـ

لمحة تاريخية عن جغرافية الهند

إن بلاد الهند تعتبر قارة مستقلة في حد ذاتها لكبر مساحتها، ولكثرة سكانها، وأنواع معادنها الطبيعية، فإذا قيل: بلاد الهند يتبادر إلى الذهن الهند التي تحيط بها سلسلة من جبال "هماليا"^(١) من الشمال ممتدة إلى بلاد "كشمير" وإلى "بوتان" وفي الجنوب "كانيا كماري" وفي الغرب بلاد "السند" وفي الشرق "بورما"، فالبلد الذي يقع في هذه الأراضي الواسعة تسمى الهند، ولكن الذي يظهر من دراسة الكتب القديمة أن بلاد الهند لم تكن معروفة بهذه السعة، "فالهند القديمة" (VEDIC INDIA) هو ما كان بين بلاد كشمير إلى جزء من ولاية "أندرا براديش"، ومن بلاد "السند" إلى خليج "البنغال"، وأما ولايات جنوب الهند، وجزء كبير من ولاية "مها راشترا" و"أندرا براديش" فلم تشملها الهند القديمة.

أصل سكان الهند:

لم يدون تاريخ شعوب العالم أصل سكان الهند الذين عرفوا منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد في بلاد السند، وقد كانت لهم حضارة مزدهرة عرفت حديثا في اكتشافات "مُوْهان جُودَار" (MOHAN)

(١) هكذا النطق الأصلي.

(JODAR)، يرى بعض الباحثين أن هذه الاكتشافات تدل على وجود جيل ممتزج بالعرق، واللون، والأوصاف الجسمانية، فيقولون: إن هؤلاء عرفوا في التاريخ باسم "الدَرافيد" وهم قوم خليط من "الكول" البدو المتنقلون والمستوطنون في الغابات والجبال، وعلى شواطئ الأنهار الذين يسميهم التاريخ باسم الإنس الوحشي، والتورانيين الذين كان مسكنهم بلاد تركستان ثم نزحوا إلى الديار الهندية قبل الميلاد بآلاف السنين فأخضعوا الشعب الكولي، وبمرور الزمن اتحد العرق التوراني "بالعرق الكولي" ونتج من هذا الاتحاد ظهور شعب جديد عرف فيما بعد باسم "الدَرافيد".

وتمركز هؤلاء "الدَرافيد" في وادي السند: وكانت مدينتا "هراپا" و"موهان جودار" مسكنهم الحقيقي. وتوجد في هذه المنطقة آثار قديمة اكتشفت الآن ولا تزال الدراسات مستمرة حول هذه الاكتشافات. وخرج "الدَرافيد" من وادي السند إلى جنوب الهند، وانقسموا إلى أربع فئات حسب لغاتهم وهي "اللغة الكَنَّارية" و"اللغة المَالِيَّيَّارية" و"اللغة التِيلُغُوِيَّة" و"اللغة التَامِيلِيَّة": وهؤلاء هم الذين قاوموا "الآريين" مئات السنين حتى غلبوا. لأن "الآريين" كانوا أكثر منهم قوة، وأرقى منهم حضارة، وأعلم منهم في صناعة آلات الحرب، فقد استخدموا في هذه الحروب أنواعاً من الأسلحة الحديدية بينما لم يكن لدى "الدَرافيد" إلا الأسلحة المصنوعة من العظام والأخشاب والأحجار.

ونجد في هذا العهد وهو من سنة ألف وخمسمائة قبل المسيح إلى ظهور "البوذا" و"المهاتير سوامي" الفوضى وعدم الاستقرار، والحروب الطاحنة بين القبائل الهندية أولاً، ثم بين "الدرافيد" و"الآريين" ثانياً.

وهذه الحروب لم تكن في ميدان السياسة والحكم فقط، بل في جميع الميادين: الثقافية، والحضارية، والعقدية، وقد استمرت حتى القرن الخامس قبل الميلاد، حيث تمت الغلبة "للآريين"، ووقع السكان الأصليون بأيديهم فيدا الآريون ينظمون شئون حياتهم، ويدخلون السكان الأصليين في المجتمع الفيدي: وقسموا سكان الهند إلى أربع فئات: الفئة الأولى (البراهمة) وهم من أصل الآريين. الفئة الثانية (الكشترى) وهم الجنود وكان أصلهم من "راجبوت" والأرجح أنهم أيضاً من "الآريين" وكانوا من أبناء الملوك الذين فتحوا الهند في أوائل التاريخ، والثالثة (الویش) وهم من التورانيين والكول الذين سموا فيما بعد باسم (الدرافيد)، والرابعة (الشودر) وهم من الدرافيد الذين لم يستسلموا للآريين، ولم يقبلوا انضمامهم إلى المجتمع الفيدي وصاروا عبيداً لهم، وسأتحدث عن كل فئة من هذه الفئات بالتفصيل فيما بعد.

كما بدأ الآريون يشغلون بالتصنيف والتأليف، واتخاذ الآلهة من القوى الطبيعية، واختراع أنواع من العبادات والأناشيد الدينية حتى ظهر "البوذا" ليحارب معتقدات الآريين وطقوسهم وتقسيمهم البشر إلى فئات مختلفة.

هجرات الآريين إلى بلاد الهند:

كلمة الآريا في اللغة السنسكريتية تطلق على النبلاء. وهم شعب ذو جلود بيض، وشعور سود، يتكلمون اللغة السنسكريتية، ثم استعملت في قوم مشكوك في أصلهم، فيرى بعض الباحثين أنهم قوم نشأوا ببلاد "الدانوب" بأوروبا، ثم هاجروا إلى آسيا عند ما ضاقت بهم الأرض، وتوضح التحقيقات الجديدة أن لونهم كان أشبه بلون الذهب، وهو لون مرغوب لإلههم "إندرا" كما جاء في "ريجفيدا" و"ياجورفيدا" (أن إلههم "رودرا" كان لونه ذهبيا).

وجاء في الباب الأول من "ريجفيدا": (أن عابداً كان يدعو الله أن يهب له ولداً يكون لونه كالذهب). ومن هذا التشابه ادعى الباحثون بأن الآريين كانوا من أجناس أوروبا، وقد وجدت الجماجم في شمال أوروبا تشبه إلى حد ما جماجم الآريين، فيقولون: إنهم نزحوا من مساكنهم طالين الرزق عبر سواحل نهر "دينوب" ثم "باسفورس" و"دارد نالس" و"إيران" و"أفغانستان" حتى وصلوا إلى "السند"، وقد تركوا جماعة منهم في تلك البلاد التي عبروها، فبدأت الحرب بينهم وبين أهل السند. بينما لم يقاوم أهل تلك البلاد. واستمرت هذه الحروب قرابة ألف سنة. وفي النهاية استسلم أهل السند، وهربوا إلى الغابات والجبال. وقد هاجر جماعة منهم إلى شمال الهند وانضموا في النهاية إلى المجتمع الفيدي. ومن بقي منهم بأيديهم صاروا عبيداً لهم

وهم الذين كانوا يسمون باسم "الدرافيد".

ويرى غستاف لوبون: أنه كانت لهم طريقان للهجرة:

إحدهما: الطريق المؤدية إلى أوروبا.

والأخرى: الطريق المؤدية إلى إيران.

ويرى باحثون آخرون أن الجنس الآري آسيوى الأصل، كان يعيش في وسط آسيا في بلاد تركستان بالقرب من نهر "جيجون"، ثم زحفت أفواج ضخمة من هذا الجنس في أزمنة غير معروفة، واتجهت إلى جهتين فئة ذهبت إلى أوروبا، وفئة هاجرت إلى الهند عبر إيران، بينما يرى غستاف لوبون أن أصل الآريين من إيران نفسها، يقول في كتابه "حضارات الهند"^(١): (ولا أحاول هنا أن أتى بافتراض جديد في أصل آرين، بل أذكر أن المحتمل أكثر من سواء على ما يظهر، وهو أن آرين كانوا سكان إيران الأصليين، وأن المجاورين منهم للهند هم الذين دخلوها على دفعات متتابعة لا ريب، كما استولى أجدادهم على أوروبا من قبلهم، وأن تأثيرهم في دماء الشعوب المقهورة كان ضعيفاً إلى الغاية كما يبدو لي خلافاً للرأى السائد). انتهى.

وإنني أضيف هنا دلالة لغوية لكون الآريين من أهل فارس فأقول:
تشارك اللغة السنسكريتية مع الفارسية في كثير من الألفاظ والمعاني

ولم يثبت في التاريخ أن أهل الهند خرجوا إلى فارس ليقتبسوا بعض الكلمات، لذا يجزم علماء اللسان بأن المتكلمين بالسنسكرتية وهم آريون، والفرس كانوا من منطقة واحدة. وإليك بعض هذه الكلمات ومعانيها بالعربية:

الألفاظ الفارسية	الألفاظ السنسكرتية	المعنى بالعربية
انكشت	انكشت	الأصبع
بازو	باهو	العضد
دست	هست	اليـد
جرم	جرم	الجلد
زانو	جانو	الفخذ
نر	نر	الذكر مقابل الأنثى
يائ	ياؤ	الرجل
خون	شون	الدم
سر	شر	الرأس
أبرو	آبهرو	الحاجب
كدو (كل)	كل كدو	الزهر
خواب	شواب	النوم
شب	شبا	الليل
بدر	بتر	الأب

الألفاظ الفارسية	الألفاظ السنسكريتية	المعنى بالعربية
مادر	ماتر	الأم
برادر	بهرادر	الأخ
دختر	دهتر	البنت
خسر	سؤسر	الصهر
روم	روم	شعر الجسم
بنج	بنج	خمس
بنجم	بنجم	الخامس
هفت	سبت	سبع
هفتم	سبتم	السابع
ششم	ششتم	السادس
نهم	نوم	التاسع
دهم	دشم	العشرة
يك	ايك	الواحد
تارا	تارا	النجم
هور	سوريه	الشمس
ماه	ماس	الشهر
روز	روج	اليوم
شام	شانم	المساء

الألفاظ الفارسية	الألفاظ السنسكريتية	المعنى بالعربية
مهر	مهر	الشمس
هوا	وايو	الهواء
سرد	شرد	البرد
آب	آب	الماء
تشنه	ترشنا	ظمآن
سياه	شيام	الأسود
سايه	جهايا	الظل
ديوا	ديوار	الجدار
جنكل	جنكل	الغابة
نام	نام	الاسم
نو	نو	الجديد
جال	جال	الشبك
ارج	ارج	القيمة
شير	كشير	اللبن
كاؤ	كمو	البقرة
خر	كهر	الحمار
شاخ	شاكها	العصن

هذه بعض الألفاظ من اللغتين الفارسية والسنسكريتية ذكرتها كمثال ونقلتها من "الفيد ومسألة قدمه" للمؤلف أكبر شاه خان.

ويقول المؤلف: يطول الفهرس لمثل هذه الألفاظ وقد يصل إلى الألف، وأنا أكتفي هنا بذكر مائة لفظ فقط للمقارنة بين اللغتين وهذه القائمة الصغيرة كافية لإثبات الدعوى وهي أن اللغة السنسكريتية أخذت من الفارسية^(١). انتهى.

وبهذا يستدل على أن أهل اللغة السنسكريتية وهم الآريون كانوا من سكان فارس.

ويدعى بعض علماء الهندوس الجدد منهم الدكتور "اويناش جندرا" و"سوامي شنكرانند" و"راي بهادر رام برساد" والعالم الألماني "جير" أن الآريين لم ينزحوا من بلد آخر، بل هم سكان بلاد الهند الأصليون بناء على بعض الآثار التي وجدت في حفريات "موهان جودار".

ولكن الأرجح أنهم من جنس أوروبي لوجود التشابه في اللون والهيئة العامة التي تخالف الجنس الهندي الأصل^(٢).

يقول ويج (WEECH): ففي البنجاب نجد السكان أطول قامة، بشرتهم بيضاء، أو أميل إلى البياض، ملامحهم أدق، وهم بهذا يخالفون باقي الهنود حيث تنتشر ملامح التورانيين، أو حيث توجد ملامح السكان الأصليين بالجنوب، وتقل ملامح الآريين كلما اتجهنا جنوباً أو شرقاً كما أن "الدرافيد" لا يزالون يكيّدون لهم كيداً رغم مرور آلاف

(١) وقد اختصرته أيضاً فذكرت تسعة وأربعين لفظاً فقط.

(٢) وقد ادعى المستشرق "بولنز" أن اللغة السنسكريتية متحدة في أصولها مع لغات

السنين فإن هذا الحقد ورثوه أبا عن جد، فلو كان الآريون من أصل سكان الهند لما حدث كل هذا.

انضمام أهل الهند إلى المجتمع الهندوسي:

لما تم فتح الهند كلها على يد الآريين، بدأ الشعب الآري ينظم شؤون حياته الاقتصادية والاجتماعية، والسياسة، وفتح الباب لأول مرة لضم أهل الهند إلى معتقداتهم. وانتهى هذا العهد في نهاية القرن السادس قبل الميلاد.

غارة الأفكار الجديدة:

وبعد القرن السادس قبل المسيح بدأت الأفكار الجديدة ترد إلى الهند من اليونان ومصر وبابل والصين، ووقع تصادم شديد بينها وبين أفكار وتعليمات الفيدا فانقسم علماء الآريين إلى قسمين، قسم يحارب هذه الأفكار الجديدة، وقسم: ينقح ويهذب أفكار "الفيدا" على ضوء العلوم الجديدة، فبدأ الدين الهندوسي يتجه إلى الفلسفة وينهج منهجها، واستمر هذا الدور إلى نهاية القرن الثالث قبل المسيح، وألّف في هذا العهد أهم الكتب الهندوسية وهي "الأبانشاد" و"البهكفت كيتا".

مؤسس الهندوسية:

لم يسجل تاريخ الأديان اسم شخص معين، يقال له إنه مؤسس الديانة الهندوسية، كما هو الحال في أديان الهند الكبرى، فالبوذية

أسَّسها "البوذا"، والجينية أسَّسها "المهابيرسوامي"، والسيخية أسَّسها "كرونانك".

يقول الدكتور "رادها كيرشنا"^(١): "إن الديانة الهندوسية لا تنتمي إلى شعب من الشعوب، بل هي ثمرات لتجارب الأمم التي أدت دورها في تكوين الفكر الهندوسي.

مشكلة العقيدة في الهندوسية:

مما لاشك فيه، أن لكل أمة من الأمم الحاضرة والماضية عقيدة رئيسة تؤمن بها، وتسير على وفقها في معالجة مشاكلها، وإصلاح أحوالها، في أفرادها وجماعاتها، والعمل بمقتضاها، وإن الباحث يدرك حقيقة الأنظمة والأحزاب والجماعات بدراسة عقيدتها وأهدافها، فإذا تخلت الأنظمة أو الأديان عن العقيدة المركزية كانت كجسم بدون روح. ولذلك فإن أهم ما يؤخذ على الديانة الهندوسية أنها خالية من العقيدة الرئيسة.

وعلماء الهندوس يشعرون بخلوها من العقيدة، بل ويفتخرون بذلك. يقول الزعيم الهندي "غاندي": ومن حظ الديانة الهندوسية أنها ليست لها عقيدة رئيسة، فإذا سئلت عنها فأقول: إن عقيدتها هي عدم

(١) وهو أحد فلاسفة الهندوس المعاصرين. ولد سنة ١٨٨٨ م. وفي الخمسينات تولى رئاسة جمهورية الهند. له أكثر من مائة وخمسين كتاباً في الفلسفة والدين. وكان شديد النقد على الفلسفة الاشتراكية الماركسية.

التعصب والبحث عن الحق بطرق حسنة، وأما الاعتقاد بوجود الخالق وعدمه فكلاهما سواء، ولا يلزم لأي رجل من الرجال الهندوس أن يؤمن بالخالق، فهو هندوسي سواء آمن أم لم يؤمن.

ويقول في موضع آخر من كتابه: "هِنْدُو دَهَرَم" (HINDU DHARM): من حسن حظ الديانة الهندوسية أنها تخلت عن كل عقيدة، ولكنها محيطة بجميع العقائد الرئيسية، والجواهر الأساسية للأديان الأخرى".

ولذا نجد أن علماء الهندوس يقدسون كل جديد، ويظنون أن ذلك هو المطلوب والمقصود، وأنهم يعتبرون كل مصلح رسولاً منزلاً من السماء، وإلهاً بصورة البشر، ولو خرج على بعض معتقداتهم إذا بقي في الإطار الهندوسي، ولم يعلن صراحة خروجه من الهندوسية إلى الإسلام أو النصرانية، والسبب كما قلت هو: أنه لا يوجد في الهندوسية مقياس تقاس به أمور دينهم، فمن ينتمي إلى الهندوسية فهو هندوسي إلى الأبد.

اسم الهندوسية:

بسبب خلو الهندوسية من العقيدة الأساسية تغيرت وتبدلت إلى حد لا يتصور حتى فقد اسمها الحقيقي وهو "وَيْدِيك دَهَرَم" (VEDIC DHARM) أو "أريا دهرم" وسميت باسم الهندوكية التي ليس لها أصل في اللغة السنسكريتية. لأن هذه الكلمة مستحدثة لم تستعملها الكتب

القديمة. فقد كان دين أهل الهند يسمى في الماضي بكلمة "الدين الآري" (ARYA DHARM) أو بكلمة "سَنَاتَن دَهَرَم" (SANATAN DHARAM) يعني الدين القديم.

أما كلمة الهندوسية فإنها اشتقت من كلمة "سند" لأن أهل فارس واليونان كانوا يتجولون على سواحل "سند" ويغيرون حرف السين إلى الهاء، فقالوا: (الهند)، وكلمة "استهان" معناها "المقر" كانت ثقيلة عليهم فجعلوها "استان" بحذف الهاء فقالوا "هندوستان" أي مقر أهل الهند، وقالوا للسكان: "هندو" وإليها نسب دينهم فقالوا: الهندوسية أو الهندوكية. وقالوا لأهل هذا الدين: هندوسي أو هندوكي، وجمع الكلمة الأولى في اللغة العربية بالواو والنون وهو جمع المذكر السالم: "هندوسيون".

كما تستعمل كلمة الهندوس للجنس كالقوم أي في حالة الأفراد والجمع، وجمع الثانية جمع تكسير: "هنداك".
وأما أهل الإنجليزية فغيروا الهاء من الهند إلى الهمزة فقالوا: اند (IND) وزادوا إليها (IA) للنسبة فصارت كلمة "اند": "انديا" (INDIA).

مراحل تدوين الكتب الهندوسية:

بعد ما وصل الآريون إلى الهند، وبدأوا يخوضون الحروب مع أهلها اشتغل جماعة من علمائهم بالتصنيف والتأليف، واستمرت فترة تصنيف

الكتب الهندوسية الأساسية أكثر من ألف سنة تقريباً.
وإليك بياناً بالأدوار التي مر بها التصنيف في هذه المدة.

الدور الأول:

أول عمل قام به هؤلاء العلماء هو استكمال تأليف الفيدات
الأربعة^(١). و"الفيد": كلمة سنسكريتية مشتقة من كلمة "ود" ومعناها
العلم والمعرفة.

الدور الثاني:

عصر المتكلمين الهندوس: فإنه قد توجه جماعة من العلماء المتكلمين
إلى تأليف كتب "أبانشاد" وهي في الحقيقة خلاصة لفلسفة "الفيدا"
وتشتمل كتب "أبانشاد" على مبادئ التصوف من الذكر إلى الفناء.
يقول البروفسور "رويس" (ROYEC):

(جميع أحكام التصوف ذوت في هذه الكتب).

وكذلك تشتمل كتب "أبانشاد" على حضارة الآريين الثقافية
والأدبية وانظر التفاصيل الأخرى في باب المصادر.

الدور الثالث:

دور الفقهاء الذين وجهوا عنايتهم إلى تدوين الفقه الهندوسي من
أحكام الطهارة والعبادة والمعاملات، والعلاقات، وأحكام الزواج

(١) وهي: الريج فيدا، وياجور فيدا، وسام فيدا، وأثور فيدا. وسيأتي تفصيل لكل
هذه الفيدات.

والفراق، وما إلى ذلك.

وكان اعتماد هؤلاء الفقهاء على الروايات المنتشرة على ألسنة الرهبان والزهاد والنساك، وبجهودهم ظهرت كتب "إسمرتي" يعني المذكرات، ويبلغ عددها أكثر من خمسين كتابا والمعروف منها "منو إسمرتي".

الدور الرابع:

بعد امتزاج أهل الهند بالآريين. ذهبت آلهة الآريين إلى الخفاء، وهم "إندرا" (إله الرعد الذي يسبب الأمطار)، و"أغني" (إله النار)، و"أرونا" (إله السماء)، و"أوشا" (إله الصبح)، وبدأت تظهر آلهة الهند وهم "فيشنوا" (إله الرزق)، و"سيفا" (إله التدمير والإبادة) - فمن هنا بدأت حركة التصنيف للحمد والثناء على الآلهة الجديدة، فألفت كتب "بُران" ومعناها القصص والأساطير القديمة وتناولت هذه الكتب عدة مواضيع وهي قصة الخلق، والقيامة، والفترة التي تستغرق بين الاثنين من "منو" والمقصود به بين التدميرين للكائنات فإن هذه الدنيا دمرت ملايين المرات، ثم أعيد خلقها، ويستمر هذا العمل إلى اللانهاية، لأنها قديمة وأزلية حسب عقيدتهم.

الدور الخامس:

تأليف كتب الملاحم والحروب: تتحدث هذه الكتب عن زعماء الآريين الذين خاضوا الحروب الطاحنة ضد أعدائهم إلى أن تم لهم

النصر وهذه الكتب هي:

"مَهَا بَهَارَات" و"كِيتا" و"رَامَايَان" وقد صارت هذه الكتب من الكتب الشعبية. وأكثر الاهتمام بها في المجتمع الهندوسي. وسوف أتحدث بشيء من التفصيل عن هذه الكتب في الباب التالي.

الدراسة حول المصادر الأساسية لدى الهندوس:

نما أن الهندوس لا يتقيدون بعقيدة خاصة، لذلك يسهل عليهم الإيمان بالله وبغيره من الآلهة الكثيرة من القوى الطبيعية وغيرها، لذلك افترقت كلمتهم في عد المصادر الأساسية، فكل فرقة من فرقهم لها كتب خاصة بها وإن كان غيرهم يشاركونهم في تمجيدها وتقديسها. لذا فلن أتقيد في ذكر هذه المصادر الخاصة بفرقة من الفرق، فكل كتاب ألف في تمجيد إله من الآلهة وتقديم القرابين له صار مقدساً عندهم، وهذه الكتب هي التي مر ذكرها بالإجمال في مراحل التدوين - وإليك بعض التفاصيل عنها:

١- (الفيدا) معناه "العلم" في القديم كان يطلق لفظ فيدا على جميع الكتب الهندوسية من "سَنَهْتَا" و"بَرَاهْمَان" و"آرَنْشِك"، و"أَبَانَشَاد" ثم خص لفظ "فيدا" بأربعة كتب وهي:

"ريج فيدا"، و"ياجُور فيدا"، و"سَام فيدا"، و"آتُور فيدا".

ويعتبر الفيدا من أهم الكتب المقدسة لدى الهندوس. ونال شهرة

كبيرة من الجماهير، والفيدا ليس اسم كتاب مؤلف على الأبواب والفصول وإنما هو مجموعة من الأجزاء المنتشرة من تعليمات الزهاد والنسك في القرون المظلمة قبل الميلاد، وكلمة الفيد مشتقة من كلمة "ود" ومعناها باللغة السنسكريتية: العلم. ولقد حرص النسك الهنادك على حفظ التعليمات المبعثرة، ثم أملوها على تلاميذهم وقيدوها على اللوحات الحجرية والجلدية. ويقال لهؤلاء الحفاظ "شاستري" (SHASTRY).

ويدعي الهندوس أن الفيدا أزلي وقديم كقدم العالم. ألهمه رجل يسمونه "منو".

يقول العالم الهندوسي "بهارى لال ورما" إن الفيدا ليس اسم كتاب بل هو مجموعة من أفكار النسك الهندوس. ومعنى كلمة "ود" حصول العلم، ويعني بذلك أن الفيدات جمعت فيها شتى العلوم الروحانية، وفيها الأناشيد الدينية للعبادة".

ويقول عالم هندوسي آخر وهو "البندت شري رام شرما" في مقدمة تفسير "ريج فيدا" إن هذا الكتاب يشتمل على أفكار ثلاثمائة ناسك.

والفيدا ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: سَنَهْتَا - أي المتون.

وثانيهما: بَرَاهْمَنْ - أي الشروح.

ويرى العالم الهندوسي "سوامي ديانند" أن القسم الأول إلهامي، والثاني غير إلهامي.

أما الذين قسموا الفيدات إلى ثلاثة أقسام فزادوا قسماً آخر وهو "الآرنيك" (ARNICK) وهذا القسم يشمل تعليمات تاركي الدنيا، والأسفار المقدسة التي ألقت بعد ذلك وسميت باسم "أبا نشاد" اقتبست من هذا القسم الثالث، هذه الأسفار يبلغ عددها حوالي مائة وثمانية أسفار. ولكن المعتبر منها عند الهندوسي ستة عشر سفيراً فقط على حد تعبير شنكرا جاريا^(١).

ولكن من أغرب الأمور أن يوجد بعض "الآرنيك" بعد "البوذا" بزمان كما يدعي العالم الهندوسي "دهر مانند كوسمبا" في كتابه المعروف "الحضارة الهندية"، وهذا يؤيد القول بأن كتب الهندوس المقدسة لا تزال في ظلام التاريخ.

وأعود إلى الحديث عن أصل الفيدا فأقول:

(١) ولد "شنكرا جاريا" في منطقة مليبار في عام ٧٧٨م واختار سلوك النساك وعمره ثماني سنوات، وتوفي وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة. يقولون إن "شنكرا جاريا" كان أصغر زعيم في تاريخ الأديان الهندية، وهو أول من دعا إلى وحدة الوجود، وأقام الأدلة والبراهين من الفيدات، وأسس مراكز التعليم في أنحاء الهند لنشر أفكاره، وهي تسمى "ماتها" [MATH] وفي كل مركز يُعَيِّن راهب يلقب بـ "شنكرا جاريا"، وهو أعلى لقب للرهبان الهندوس.

الفيدات مجموعة من الكتب يبلغ عددها أربعة وهي:

١- ريج فيدا (RIG VEDH) ومعناه الدعاء والثناء. يقال هذا هو الأصل الأشهر وهو أشمل أيضاً من غيره، يدعي علماء الهندوس أن ريج فيدا من أقدم المؤلفات في العالم، ولكنهم يختلفون في تحديد زمان تأليفه، ويجزم علماء الغرب أن تأليفه كان على مراحل ما بين ١٠٠٠-١٥٠٠ قبل الميلاد.

يقول العالم الغربي "منترتان" إن تأليفه كان في زمان يقارب ٢٥٠٠ ق م، وهذا العهد أقرب إلى ما يقدره علماء الهندوس. وهو ينافي قولهم: (إنه أزلي كقدم العالم).

والكتاب يشتمل على عشرة "مَنْدَل" أي الأجزاء، وعلى أربعة وستين "أدهيايا" أي الأبواب، وعلى ١٠١٧ "سوكت" أي عناوين الأبواب، و١٠٥٥٢ "منترا" أي الأبيات، وأشهر الإلهة الذين ورد ذكرهم في "ريج فيدا" "أغني" (إله النار)، لأن جامع الفيدا وهو "ويد وياس" كان في زمن "زرتشت" زعيم الفرس وكان يدعو إلى عبادة النار، ويذكر بعض المؤرخين أن "ويد وياس" سافر إلى فارس لمناقشة هذا الزعيم الجديد فتأثر بمذهبه ودعوته، ورجع إلى الهند حاملاً أفكار "زرتشت" فأدخل جزءاً كبيراً من تعليمات "زرتشت" في الفيدا.

وأما مفسر ريج فيدا "البندت شري رام شرما" فذكر في مقدمته أسماء الآلهة التي جاء ذكرها في ريج فيدا. فبلغ هؤلاء أكثر من مائة

وخمسين إلها ومن هؤلاء:

أَعْنِي : إله النار.

فايو : إله الهواء.

إِنْدَرَا : إله الرعد.

ارُونَا : إله السماء.

سُورِيَا : إله الشمس.

أوشا : إله الصبح.

كيان : إله العلم.

كام : إله الشهوات.

ويعلق على هذا بعض العلماء بقولهم: إن الهندوسية تتخذ من القوى الطبيعية آلهة كما أنها توزع الآلهة حسب المناطق، وكل هؤلاء يقربون إلى الله كما هو حال الجاهليين قبل الإسلام.

هذه هي حقيقة "ريج فيدا" وهو أم الكتب الهندوسية، والهنداك يقدسون هذا الكتاب. ويتغنون بأناشيده، ويرتلونها في الصلوات صباحاً ومساءً ويتركون بتلاوتها في حفلات زواجهم، ويقرؤون آياته على موتاهم عند تحريق جثثهم.

٢- ياجُور فيدا (YAJUR VEDA) وهو كتاب يتحدث عن قوانين القرايين، هذا الكتاب يبلغ حجمه ثلثي حجم ريج فيدا، وهو مكتوب بالنثر وفيه تعليمات لتقديم القرايين للآلهة، وكثير من العلماء الهندوس

ينكرون أن يكون "ياجور فيدا" من الفيدات المقدسة لديهم.

٣- سام فيدا (SAM CEDA) ومعناه الأمن والراحة، وهو يشمل ١٨١٠ بيتاً، وجميع هذه الأبيات توجد في ريچ فيدا ما عدا خمسة وسبعين بيتاً. والهندوس يتغنون بهذه الأبيات عند إقامة الصلوات، ودعوة آلهتهم لنجدتهم، وسبعة الألحان المعروفة في الموسيقى الهندية مصدرها هذا الكتاب العتيق.

ويقول بعض علمائهم: إن "سام فيدا" ليس بأقل قدراً من "ريچ فيدا" بالنسبة للموسيقى الهندية ورقياً.

٤- أتور فيدا (ATHER VEDA) يعني الرقى السحرية، هذا الكتاب يشتمل على مجموعة من الأبيات، والبابان التاسع عشر والعشرون أحداً من "ريچ فيدا"، وفيه مقالات في السحر والرقى لإبعاد الشياطين والأغوال، وفيه أدعية للحفاظ من الحيوانات المفترسة، كما أن فيه أدعية لحصول الراحة والأمن والربح في التجارة والقمار. وإن "أتور فيدا" من آخر الكتب الفيدية، وهو مختلط بالحضارة الآرية وغيرها، لذا لا يوجد ذكره في الكتب الآرية القديمة.

الاتجاهات التفسيرية للفيدات:

اتجه مفسروا الفيدات إلى ثلاثة اتجاهات مختلفة:

أحدها: تفسير ستارام سايان (SUTRAM SAYAN) وهو من المفسرين القدماء الذين فسروا الفيدات الأربعة على أساس الطقوس

الدينية التي كانت سائدة في عصره، كما فسر الفيدات بالأدلة التاريخية مقتبسا من كتاب "مهابهارت" والعلماء الهندوس يقدرّون هذا الرجل، ويجعلونه في قمة من الذكاء والفهم لمعاني الفيدات، ويقولون: لولا ستارام سايان لما فهمنا أسرار "الفيدات".

وينقل عن "ماكس مولار" أنه قال: لولا سهل لنا "ستارام سايان" الطريق لما استطعنا أن ندخل هذه الحصون المنيعة.

ثانيها: تفسير ماكس مولار (MAX MULLER) هذا الأوروبي الإنجليزي له مكانة كبيرة عند الهندوس، لأنه أول من حاول فهم الفيدات على منهج الغربيين وقام بنشر تعليمات الفيدات في أوروبا وأمريكا، حتى لقب عند الهندوس بـ "موكش مولار" أي مولار الناجي من جولان الروح.

ثالثها: تفسير ديانند (DIYANAND) وهو المصلح المعروف لدى الهندوس الذي دعا إلى إحياء الحضارة الآرية في الهند في القرن التاسع عشر، وأنكر الطقوس والرسوم التي كانت معروفة منذ أقدم العصور. كما أنكر الوقائع التاريخية التي جاء ذكرها في الفيدات، وانهج بذلك منهجا خاصاً لم يسبقه أحد قبله. وأوّل كل شيء يخالف توحيد الربوبية مثل الأصنام والأوثان التي يكثر ذكرها في الفيدات. أوّلها إلى مظاهر قدرة الخالق لتحقيق الوحدة الإلهية. ففي رأيه أنها الأعداد المتفرعة منه، ولا وجود إلا وجوده المطلق. وأكثر من استعمال

الاستعارات والمجازات والتشبيهات في تفسيره.

وهذا الرجل له تأثير كبير في الشعب الهندوسي المعاصر وإليكم تاريخاً موجزاً عنه.

ديانند (١٨٢٤م - ١٨٨٣م) مؤسس جمعية "آريا سماج" (ARYA SAMAJ) وهي جمعية هندوسية متعصبة أسست عام ١٨٧٥م بمدينة بمبائ لإحياء الدعوة الهندوسية من منابعها الأساسية وهي الفيدات وشروحها.

ومن أخطر أهداف "آريا سماج" الدعوة إلى "شدى" يعني التطهير. ويقصدون بذلك إعادة المسلمين الجدد إلى الهندوسية. وأنه بدخوله في الإسلام والتصرانية قد تنجس فلزم تطهيره.

وقد قاوم المسلمون هذه الدعوة بشدة وكان على رأسهم المجاهد الكبير، والمناظر الموفق الشيخ ثناء الله الأمرتسري رئيس جمعية أهل الحديث في الهند الذي استطاع بما منحه الله من الذكاء أن يسترد ثقة المسلمين بدينهم وعقيدتهم.

هكذا تمكن المسلمون من إخماد هذه الفتنة إلا أن "آريا سماج" لم يتخلَّ عن فكرته.

والكتاب الأساسي لدى هذه الفرقة اسمه "ستيارتها بوكاش" ألفه ديانند نفسه، واهتم المصنف في هذا الكتاب بالرد على جميع الأديان المعروفة. وجعل له أربعة عشر باباً. خصص الباب الرابع عشر للرد

على الإسلام، وقد قام بالرد عليه رئيس جماعة أهل الحديث في الهند وهو الشيخ ثناء الله الأمرتسري رحمه الله فألف كتاباً سماه "حق بروكاش" ثم قام الشيخ إمام الدين الرام نكري رحمه الله رحمة واسعة فألف كتاباً سماه "دلائل القرآن في افتراء ديانند والبهتان".

وقد ترجم كتاب "ستيارتها بروكاش" إلى عشرات اللغات الهندية والأوروبية.

وفي مطلع عام ١٩٧٨م أقامت جماعة "آريا سماج" احتفالاً بمرور مائة عام على تأليف هذا الكتاب، فليتأمل المسلم العاقل كم أفسد هذا الكتاب من البشر في الشرق والغرب.

ثم يحق لنا أن نسأل هذا المصلح وجماعته "آريا سماج" أين إيمانهم "بالفيدات" التي تنادي بأضحية الحيوان وهم حرموا أكله، وتجيز بناء المعابد للأصنام وهم منعوها، وتدعو إلى الإيمان بآلهة كثيرة وهم اكتفوا بالتثليث.

تقول الملائكة يا "إندرا" (إله المطر) إن "فشنو" (إله الرزق) يطبخ لك مائدة من الجاموس^(١).

وفي موضع آخر: "هم يطبخون الثور، وأنت تأكله"^(٢).

(١) الريح فيدا ١٧/١١/٦.

(٢) الريح فيدا ٣٠/٢٨/١٠.

وفي موضع آخر: إن "إندرا" مع العباد يطبخ الثور السمين^(١).
وفي موضع آخر: يقول "إندرا": "اطبخ لي خمسة عشر ثوراً، وأنا
أكله فأكون سميناً"^(٢).

والباب الثاني والعشرون إلى الخامس والعشرين من "الياجور فيدا"
مملوء بأضحية الحيوان.

كما أنهم اكتفوا بعبادة إله واحد مع أن "الفيدات" تدعو إلى
الإيمان بآلهة كثيرة مثل "إندرا" و"أغني" و"سوم" و"ورن" و"الرجابتي"
و"فشنو" و"يم"، وغيرهم إلا أن تؤول هذه الفقرات كما فعل ديانند
وجعل للفيدات ظاهراً وباطناً، ولكن جماهير الهندوس لم يقبلوا تأويله.

٢- الأبانشاد (UPNISHAD) ومعناه: الجلوس عند الشيخ لتلقي
العلم، وهي أسفار تفسيرية للفيدات، وفيها علوم وتجارب الرهبان
والنساك من الهنادك الذين مارسوا حياة الرهبانية، واتخذوا الغابات
والجبال الشاخات مقراً للرياضة لكشف أسرار الكون، والتغلب على
حقيقة الموت، ليحصل لهم السرور السرمدي بعد الحياة المادية. وقد
كان لهذه الكتب تأثير على السذج من الأوروبيين والهنود على حد سواء.
فالتصوف الهندي، والتكشف الأوروبي تأثر بهذه الكتب أكثر من
غيرها. ولكن حقيقة هذه الكتب لا تزال يكتنفها الغموض والظلمات

(١) الريح فيدا ٣٠/٢٧/١٠.

(٢) الريح فيدا ١٤/٨٦/١٠.

التاريخية. فلا يعرف مؤلفها ولا عهد تأليفها، حتى قيل: إن من جملة هذه الكتب كتاباً اسمه "الله أبانشاد" وهو يتحدث عن الألوهية في الإسلام، وكان تأليفه في عهد أمبراطور الهند جلال الدين أكبر.

هكذا بدأ تصنيف هذه الكتب من عهد الآريين واستمر إلى عهد المغول، فأى قداسة لهذه الكتب التي ألفت من خلال ألفي عام.

ولكن كما قلت إنه لأجل فقدان العقيدة الرئيسية جعل الهندوس يقدسون كل شيء يتحدث عن دينهم وتجارب رهبانهم، وسلوك نساكهم، ولا تعدو وأن تكون هذه الكتب مثل الفتوحات المكية وفصوص الحكم لابن عربي.

عدد الأبانشاد: يبلغ عدد هذه الكتب ما يقارب ثمانية ومائة كتاب حسب ما ذكر في فهرس "آديار" (ADYAR LIBRARY) في مدراس وقامت هذه المكتبة بنشر واحد وسبعين كتاباً باسم "أبانشاد". وبذلك بلغ عدد "أبانشاد" مائة وتسعة وسبعين كتاباً كما طبع في مدينة "بريلي" ثمانية ومائة كتاب بتعليق "باندت شري رام شرما" وقسمه إلى ثلاثة أقسام:

١- كيان كهاند - أي باب العلم.

٢- برهما وديا كهاند - أي علم البرهما.

٣- سادھنا كهاند - أي علم اليوجا.

ولكن الكتب المعتبرة والمعروفة باسم "الأبانشاد" هي اثنا عشر كتاباً.

- ١- إيش واشيا (ISHAVASYA)
 - ٢- كين. (KEN)
 - ٣- كَت. (KATH)
 - ٤- بَرَشْن. (PRASHNA)
 - ٥- مُنْدُك. (MUNDUKYA)
 - ٦- مَانْ دُيُوك. (MANDUKYA)
 - ٧- إِيْت راي. (ETREY)
 - ٨- تِيْتِي رَاي. (TETEREY)
 - ٩- شَانْدُوكيا. (CHANDOCYA)
 - ١٠- بِرِهْدَا رَانَايَاك. (BRIHDARYAK)
 - ١١- كُوشِي تَاكِي. (KOSHTAKI)
 - ١٢- شَوَاتَاشْتَر. (SHWETASHWATER)
- وقد قام بتفسير هذه الأبنشاد كل من "شَنكُراجاريا" و"رَامَانُج" و"نَمبارك" و"مَادِيَا" و"بَلاب" وغيرهم كل حسب أصوله ونظرياته^(١).

ويرى الفيلسوف الهندي الدكتور "رادها كَرشنا" أن تأليف "أَبانْشاد" يرجع عهده إلى ما قبل الميلاد بستة قرون، ويوجد فرق بين هذه الكتب، فالتى ألفت في العهد القديم تركز على التفكير في

(١) قاموس الهندوس (ص ١١٧).

الكائنات بينما ألّفت في العهود المتأخرة تركيز على العبودية للبرهما، والانقياد للفرائض الدينية". وأحد هذه الكتب وهو "برشنو أبانشاد" يتحدث عن أصل حقيقة "أنا الحق" التي نادى بها في العهد الإسلامي حسين بن منصور الحلاج وحُكم عليه بالإعدام في عام ٣١٠ هـ في مدينة بغداد، وقد جاء إلى الهند وتعلم العلوم الهندوسية واليوجا والسحر^(١)، ثم رجع إلى بغداد ودعا بدعوة "أنا الحق". يقول ابن حوقل في رحلته:

"ظهر من فارس الحلاج ينتحل النسك والتصوف، فما زال يترقى طبقاً عن طبق حتى آل به الحال إلى أن زعم: أنه من هذَّب في الطاعة جسمه، وشغل بالأعمال قلبه، وصبر عن اللذات، وامتنع من الشهوات يترقى في درج المصافاة، حتى يصفو عن البشرية طبعه، فإذا صفا حل فيه روح الله الذي كان منه إلى عيسى، فيصير مطاعاً. يقول للشيء: كن فيكون"^(٢).

وسرمد الصوفي الهندي المشهور كان يهودياً فادعى دخوله في الإسلام. وهاجر من وطنه تركستان إلى بلاد الهند ينشر الأفكار اليهودية والهندوسية بين المسلمين. وكان يعيش عارياً من اللباس وهو يدعى الاجتذاب، وينطق كلمة الكفر، فاجتمع العلماء عند الملك

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/٣١٨-٣١٩.

(٢) المصدر السابق ١٤/٣٤٧.

"عالمكير" ملك الهند وأطلعوه على خطورة هذا المجدوب وأفتوا بقتله فقتل.

هذه المدارج والمنازل التي كان يدعو إليها الحلاج وسرمد وغيرهما من المتصوفين القائلين بوحدة الوجود توجد في كلمة "أوم" السنسكريتية عند متصوفي الهنادك.

يقولون: حضر ستة من الرهبان الهندوس إلى شيخهم "بيلاد" PIPLAD وسأل كل منهم ما بدا له، وكان سؤال الخامس: إن الإنسان الذي يشتغل بالعبودية طيلة حياته الدنيوية ماذا يكون مصيره؟ فيجيب الشيخ بقوله: إن كلمة "أوم" مركبة من ثلاثة حروف، الحرف الأول: يكشف لك أسرار عالم الإنس، والحرف الثاني: يكشف لك أسرار العالم الأعلى، والحرف الثالث: يكشف لك أسرار عالم البرهما. فالذي وصل إلى هذه المنزلة العليا فقد انكشف له حقيقة "أوم" ويصير هو سرمديا برهميا".

قارن بين منزلة "أنا الحق" عند الحلاج وبين "أوم" عند أصول "أبانشاد"^(١).

(١) وفي العصر الحاضر كان "السوامي رام تيirth" ١٨٧٣م-١٩٠٦م يشبه الحلاج في الانجذاب والنشوة. وكان زميلا للدكتور محمد إقبال الشاعر المعروف في التدريس في مدينة لاهور. وقد برع في علم الرياضيات ثم تخلص عن جميع أسباب الحياة. واختار حياة الرهبان، وذهب إلى جبال هماليا للمراقبة

= =

٣- البران (PURAN) وهو الكتاب الذي يتحدث عن أساطير الأولين. يعتبر "البران" الفيدا الخامس عند جماهير الهندوس، لأن فهم الفيدا موقوف عليه. ويدعي علماء الهندوس أنه موجود منذ القدم كوجود الفيدا، فالذي يريد أن يعرف حقيقة الفيدا فعليه بالبران، لأنه يوضح كل حكاية رمزية في الفيدا بالتمثيل والرواية القصصية، ويشتمل "البران" على العناوين التالية:

١- علم الكائنات.

٢- وسعة الكائنات.

٣- عهود "منو" أي الرسل، والحوادث التاريخية لعهد كل واحد من هؤلاء.

٤- أحوال ملوك سوريا بنسى وجندرا بنسى.

يظهر من طالع "البران" أنه كان يشمل أولاً ثمانية عشر باباً فأخذ

==

والرياضة. وبقي مدة في كهوفها. وكان مجذوباً إلى حد كبير. ومات غرقاً في نهر جنجا.

هذا الصوفي الهندي له حولة واسعة في الولايات المتحدة والدول الأوروبية حيث ألقى فيها عدة محاضرات، وأسس المراكز لتعليم اليوجا والتصوف الهندي. وكان يقول:

أنا في رام - وراما في.

وُردّ كلمة: أوم أوم، وهو في حالة الاجتذاب.

كل باب على حدة، وألف عليه البران مستقلاً. والمقاصد الكبرى لكتب "البران" إثبات عقيدة "أفتار" وهو نزول الإله إلى الأرض بصورة البشر، وسيأتي الكلام على هذه العقيدة.

ويبلغ عدد "البران" أكثر من مائة وثمانية. ولكن المعتمد عند علماء الهندك ثمانية عشر. وأعظمه رتبة، وأكثره تداولاً بين الناس "البهكت البران" (BHAGWAT PURAN) فالهندك يتلونه كل يوم بعد الصبح بكل أدب واحترام.

وقد وقع خلاف شديد بينهم في مؤلف هذه الكتب فذهب جلهم إلى أن مصنفه هو مصنف "الفيدات" يعني "ويد وياس" وهذا كذب واضح فإن شخصاً واحداً لا يقدر أن يصنف أو يؤلف في حياته القصيرة جميع هذه الكتب، وقد ذكر في "بادام بران" اسم الفيلسفي الهندوسي "شنكرا جاريا" وهو من مواليد القرن الثامن الميلادي وقد كان بعد (ويد وياس) قطعاً.

كما يوجد اختلاف واضح بين هذه الكتب، فمثلاً أصحاب (بران سيفا) جعلوا "سيفا" الإله الأكبر، والآلهة الأخرى خداماً له، وبينما جعل أصحاب (بران ديوي) الذي لم يذكر من جملة "بران" أن "الديوي" هي التي خلقت العالم، والآلهة الأخرى خداماً لها وهكذا.

ولهذه الأسباب المذكورة يجزم العالم الهندوسي الدكتور "هربرشاد شاشري" أن جميع البرانات ماعدا "فشنو بران" و"امان بران" محرفة ومكذوبة.

وينكر سوامي ديانند مؤسس "آريا سماج" أن تكون "البرانات" من المصادر الأساسية للهندوسية.

الحمد لله هذه شهادات علمائهم، والآن نسأل جماهير الهنادك الذين لا يزالون يرتلون البران صباح مساء، ويتبركون به في حفلات الزواج، ويبدأون بتلاوته الحفلات الدينية أليس كل هذا في ظلمات ودياجير الجاهلية العمياء.

٤ - مها بهارت (MAHABARAT)

اسم الكتاب مركب من كلمتين "مها" أي العظيم و"بهارت" أي الهند وعنوان الكتاب يحدث عن محتواه، وهو تاريخ الحرب الكبرى التي وقعت في الهند. واشترك في تأليفه ثلاثة من المؤلفين الهنادك وهم: "وياس". و"ويشمبايان" و"سوتي".

وكان اسم الكتاب أولاً "جَي" يعني الفتح ثم سمي باسم "بهارت" ولما اشتهر لقب باسم "مها بهارت".

والكتاب لم يصل إلينا كما ألف، بل طرأ عليه عدة تغييرات بالزيادة والنقصان، والعلماء يقدرّون أن يكون الكتاب مشتملاً على أكثر من ألفي باب، فيه أكثر من مائة وعشرين ألف بيت.

يقول أحد علماء الهندوس "شري بال ديو" في كتابه: تاريخ الحضارة والثقافة في الهند: ومما هو معروف أن "مها بهارت" ألف قبل الميلاد بثلاثمائة سنة وكان يحتوي على مائة ألف بيت.

سبب تأليف هذا الكتاب:

سبق أن بينت بأن الآريين تم لهم الفتح قبل الميلاد بسبعمئة عام، وبدأوا ينظمون حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية. وكانت لهذه البداية صدمة عنيفة بين الآريين أنفسهم. فافترقت كلمتهم، وانقسموا إلى ثلاث فرق دينية مستقلة وهي: فرقة برهما، وفرقة فشنو، وفرقة سيفا، وسأذكر فيما بعد اختلافات هذه الفرق.

كما ظهر دينان جديدان وهما: البوذية والجينية. مؤسس الأول "بوذا"، ومؤسس الثاني "مهابير"، وقام هذان الرجلان بالهجوم على معتقدات الفيدات. والحضارة الآرية مما اضطر علماء الهندوس إلى تأليف كتاب واحد تعترف به الفرق الثلاث فظهر هذا الكتاب وهو "مها بهارت" يجمع بين دفتيه الفرق الثلاث بالإضافة إلى أفكار "الفيدانت" و"اليوجا" فتوحدت كلمتهم، واعترف الهندوس جميعاً بهذا الكتاب، وجعلوه مقدساً.

والكتاب عبارة عن قصة تاريخية لا ندري صحتها وقعت بين أسرة ملكية بسبب امرأة تسمى "دروبيدي" وانتهت بفوز أحد الفريقين. ولكن هذه القصة تتخللها الأفكار الفلسفية في الدين والسلوك على لسان أحد الأبطال وهو "كرشنا" مما جعل هذا الكتاب في القمة في الأخلاق والآداب والسلوك عند الهندوس. وترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات عالمية بما فيها العربية. وقد ترجمه أحد المسلمين في الهند وهو

عبد الحميد النعماني، إلا أنني لم أر هذه الترجمة، بل كنت أحاول أن يكون اعتمادي دائماً على أصل الكتاب بالسنسكرتية مع ترجمته بالهندية.

٥- الكيتا: (GEETA)

يعد الكيتا من أهم الكتب الهندوسية. وكان له أثر عميق في التفكير الهندي، وهو يشتمل على تعليمات ونصائح ألقاها البطل الهندوسي "كرشنا" أمام قائد الجيش "أرجن" فمن جملة هذه النصائح، ذكر وظائف الجيش ألا وهي الدفاع عن الوطن، حتى ولو كان المحاربون من أقرب الأقربين، وهي تسمى بالحرب المقدسة. وفيه التأملات في الذات الإلهية؛ إذ أن كرشنا حسب زعمهم كان أفتبار برهما (أنه الإله الذي نزل إلى الأرض بصورة البشر) وفيه تعليمات لحصول النجاة بالطرق الثلاث وهي: طريق العلم، وطريق التبعيد، وطريق العمل، وطريق العلم: هو أن ترى جميع المخلوقين في الروح الأعلى، والروح الأعلى في جميع المخلوقين، فإذا وصلت إلى هذا العلم ترفع عنك التكالييف الدينية.

وأما طريق التبعيد، فهو أن تعبد الله وتفتنى حياتك في عبادته، فالمقصود أن تعذب نفسك في هذا السبيل لا غير.

وأما طريق العمل فهو أن تمكث في الأرض وتؤدي الواجبات الدنيوية بدون تطلع إلى ثمراتها، حتى تتطهر نفسك من جميع العلائق

وتسمو إلى الملاء الأعلى، وهنا تتحد بالجزء الأكبر.

بالإضافة إلى هذه التعليمات، ففي الكيتا التعليمات التالية:

١- إن الروح أزلية، والإنسان لا يموت ولا يحيا، بل يتغير جسمه كما يتغير لباسه.

٢- من أعظم وظائف الكشترى الخوض في الحرب.

٣- جاهد نفسك لإماتة شهواتك، ولا تكن فريسة لها.

٤- الإنسان عدو نفسه وصديقها.

٥- مسكن الإله قلوب العارفين.

٦- لا شيء أفضل من العلم.

والكتاب يشتمل على ثمانية عشر بابا، وفيه سبعمائة ألف بيت،

وفي الحقيقة أن "الكيتا" جزء من كتاب "مها بهارت".

هذا هو كتاب "الكيتا" الذي نال شهرة عالمية بين الكتب

الهندوسية لاحتوائه على العلوم المتنوعة ففيه فلسفة "كرما" يعني قانون

الجزاء، وفيه واجبات الزهاد والنساك، وفيه العلوم السياسية، وفيه

الأحكام السلطانية، وفيه طريق النجاة من جولان الروح، ومع هذا فإن

كبار علماء الهندوس يرون أن هذا الكتاب تخيلي وتمثيلي وهم لا

يؤمنون بوجود بطل اسمه "كرشنا" ووقوع الحرب الهندية الأهلية

الكبرى التي أهلكت آلاف البشر، وأفنت أموالا طائلة كما ذكر في

الكتاب.

يقول الزعيم الهندي "غاندي" أنا لا اعتقد بوجود "كرشنا" ولا علاقة بينه وبين التاريخ.

ويقول الدكتور "رأدها كرشنا" إن أفكار "الكيتا" مجموعة من المتناقضات ولا نجد فيه مشعل العلم والهداية وقد اشترك في تصنيفه مؤلفون كثيرون.

وقد طعن بعض المحققين الجدد على هذا الكتاب لأنه كان سبباً للحرب الهندية الكبرى، ولا يزال ينادي هذا الكتاب بالحرب والجدل، وهذا يكون منافياً لأصل الديانة الهندوسية القائلة في أصولها "أهنسا برمو دهرما" يعني (أفضل الدين الابتعاد عن الإيذاء) وكان غاندي من أكبر الدعاة لهذه العقيدة.

هذه هي حقيقة كتاب "الكيتا" وبطله "كرشنا" الذي نال شهرة عالمية فمن يمر بالهندا يجد في كل معبد ومحطة ومطار تمثال كرشنا وصورته للعبادة والتفديس.

٦- رامايان: (RAMAYAN)

هذا الكتاب عبارة عن قصة تاريخية وقعت بين رجل اسمه "راما" وبين ملك سيلان اسمه "رافان" حارب الرجلان وانتهت القصة بفوز "راما" ولكن هذه القصة تشير إلى أمر مهم جداً وهو الحرب بين الخير والشر، والقصة التاريخية. وإن لم تكن صحيحة وأظنها كذلك، ولكن معركة الخير والشر التي وقعت منذ وجود آدم تظهر بقوة وبشكل

روائي في هذا الكتاب. لذا قد انتشرت هذه الرواية القصصية في أنحاء الهند من قبل الميلاد ولا تزال هذه الرواية تأخذ مكانة عظيمة في قلوب الهندوس. وبعبارة أخرى: إن هذا الكتاب يعد من الكتب الشعبية التي تحظى بأعظم تقديس واحترام لدى جماهير الهندوس، وترجم إلى جميع اللغات الهندية، وانتشر في خارج الهند في بلاد إندونيسيا، والهند الصينية، وبورما، وتبت وغيرها.

وهو أكثر انتشاراً من كتاب "الكتيا"، لأن "الكتيا" يحتوي على فلسفة دقيقة يصعب فهمها، بينما كتاب "رامايان" كتاب قصص روائية يجذب القارئ العادي إلى قراءته.

وأذكر هنا القصة باختصار ثم أناقشها تاريخياً.

كان الملك "أيو دهايا"^(١) اسمه "دشارت" ثلاث زوجات كان "راما" ابن "دشارت" من أكبر زوجاته إلا أن الزوجة الثانية كانت أحب إلى الملك. لأنها ساعدته في إحدى الحروب، فمنح لها الملك وعداً، ولما أراد الملك أن ينصب ابنه الأكبر "راما" ملكاً على سلطنته، طلبت منه الزوجة الثانية تنصيب ابنها "بهارت" ملكاً، كما طلبت منه أن ينفي

(١) هذه هي البلدة التي يقع فيها المسجد البابري التاريخي يرجع إلى القرن السادس

عشر الميلادي. وقد قام المتطرفون من الهندوس بهدمه وأقاموا عليه معبد "راما"

يوم الأحد ٦ ديسمبر عام ١٩٩٢م مما أدى إلى وقوع مصادمات عنيفة في أنحاء

الهند راح ضحيتها آلاف من المسلمين.

"راما" من سلطنته لمدة أربعة عشر عاماً، فوفى الملك بوعدده وأجلى ابنه الأكبر "راما" عن الملك، ونصب ابنه الأوسط وهو "بهرت" ملكاً على سلطنته، فخرج "راما" مع زوجته "سيتا" وأخيه الأصغر من غير أمه "لكشمان" إلى الغابات والصحاري، وهنا تعرض له الملك "رافان" ملك سيلان (وهي تسمى اليوم سريلنكا) فاغتصب زوجته "سيتا" ولما علم "راما" باغتصاب زوجته جمع جيشاً من القردة وأغار على سيلان، وكان "هنومان" قائد القردة، فأحرق سيلان وأخذ "سيتا" وردّها إلى "راما" وقتل في هذه المعركة ملك سيلان.

والأساطير التي نسجت حول هذه المعركة هي التي تغرى الهندوس لتقديس "راما".

تقول هذه الأساطير: لما ظفر "رافان" باختطاف سيتا، وذهب بها إلى وطنه، جمع "راما" جيشاً من القردة ولكن حال بين الجيشين المحيط الهندي فوقف الجيش على شاطئ المحيط ثلاثة أيام، فغضب "راما" من هذا الوقوف، وأمر أخاه "لكشمان" أن يأتيه بالقوس، فرمى بسهم نارى في قلب البحر فما لبث البحر أن اشتعلت فيه النيران وخاف (البحر) من عاقبته من الجفاف وقام أمام "راما" مستغيثاً به قائلاً: يا صاحب القداسة، أنا أحترق من غضبكم، فاسمحوا لي، ومروني، فأنا في خدمتكم.

فتبسم "راما" ضاحكاً وقال له: دعنا نعب.

قال البحر، يا صاحب القداسة، إن في جيشكم قردين عظيمين وهما "نيل" و"نال" لهما قدرة عظيمة على حمل الجبال، ووضعها في البحر فأمرهما أن يأتيا بالجبال، ويلقيها في البحر، فتكون الجبال بمثابة السفن، فأمر "راما" "نيل" و"نال" فامتثلا، وعبر الجيش بسلامة وعافية وفتح مملكة سيلان.

هذه هي رواية تاريخية في قصة "رامايان" يعني سيرة "راما" وجعلته في مكان الإله الأعظم، ولكن ألا يتعجب القارئ من هذا الإله الذي كان يجهل بوجود "نيل" و"نال" في جيشه، ويعجز عن عبور البحر حتى يتوقف ثلاثة أيام بدون جدوي.

وبعد هذه الأسطورة نرجع إلى أصل الكتاب فنقول:

لم يتفق علماء الهندوس على زمن تصنيف "رامايان" فمنهم من قال: إنه ألف بعد الفيدات بقليل، ومنهم من ادعى: أنه ألف بين ٥٠٠-٢٠٠ ق م، وكذا اختلفوا أيضاً في عصر المؤلف وزمان تأليفه وإن كانوا قد اتفقوا على أن "بالاميكي" (BALMIKI) هو مؤلف هذا الكتاب فمرة قالوا: إنه كان في عهد "راما" وكان يسير معه، ومرة قالوا: إن "بالاميكي" ألف "رامايان" بعد قرون من عهد "راما". ويظهر من هذا أنه لم يؤلف في وقت واحد بل زاد فيه مؤلفون آخرون أشياء مثل الباب الأول الذي يسمى "بال كاند" أي عهد الطفولة. ويرى المحققون الغربيون أن "رامايان" ألفه رجال من أسرة

"أشواكو" الملكية بالأليات، وكان هذا الكتاب يشتمل على اثني عشر ألف بيت، وكان المتسولون الهنادك يتغنون به عند السؤال، ويزيدون عليه قدر حاجتهم ومذاقهم حتى زاد حجم "راما يان" أضعافاً مضاعفة.

ثم جاء "بالاميكي" ورتب هذه الأجزاء المنتشرة، ولكن لم يكتب لهذا الكتاب انتشار واسع في العهود القديمة إلى أن جاء "تلسي داس" [١٥٣٢م - ١٦٢٣م] في القرن السادس عشر الميلادي في عهد الملك جلال الدين أكبر. فترجمه إلى اللغة الهندية، فانتشر في جميع القطاعات الهندية، وأقبل الناس على قراءته ولكن "تلسي داس" لم يؤد الأمانة فخان في ترجمته وزاد على "بالاميكي" ما شاء كما جعل لـ "راما" مقام الألوهية الكبرى بينما هو في "بالاميكي" مع أسطوره رجل حازم عظيم القدر، ولذا لم يرض علماء الهنادك على تصرفات "تلسي داس" وانتقدوه أشد انتقاد وخاصة في ضرب النساء، والاستهزاء بالمتنودين، ولكن بعد فوات الأوان، لأن "تلسي راما يان" وقع موقع القبول عند جماهير الهنادك.

ونهاية القصة: إن راما وفي بعهد أبيه، ومكث أربعة عشر عاماً في الغابات والجبال بعيداً عن ملذات الدنيا وراحتها، ولكن أخاه الأصغر وهو "بهارت" الذي طلبت له أمه الملك والسلطة رفض أن يكون ملكاً. وأخوه "راما" يعيش في الغابات وقد حاول إعادة "راما" إلى

الملك ولكنه ألح على البقاء وقضاء المدة التي حددها أبوه. فرجع "بهارت" إلى وطنه آخذاً معه حذاء "راما" ووضع هذا الحذاء على العرش وتصور أنه "راما" جالساً على عرش الملك إلى أن رجع "راما" إلى وطنه ونصب ملكاً على "أجودھيا" وحكم البلاد بالعدل حتى ضرب به المثل في الأدب الهندي في عدالة الحكم، وكان "غاندي" من كبار الدعاة لإعادة هذا الحكم إلى الهند وهو يسميه رام راج، أي نظام حكم "راما".

٧- الفِيدَانْت (VEDANT) "معناه زبدة الفيدا".

يعتبر "الفيدانت" من الكتب الفلسفية والأخلاقية لدى الهندوس. وهو أصغر حجماً، وأكبر تأثيراً على الفكر الهندي الفلسفي والصوفي من أي كتاب آخر من الكتب الهندوسية^(١).

وهذا الكتاب يقال له أيضاً "برهما سوترا" ويدعي بعض علماء الهندوس أنه من تأليفات "ويد وياس" المؤلف المشهور، ولكن اتفقت كلمتهم فيما بعد على أنه من تأليف "بادارايان" (BADARAYAN) الذي عاش في فترة بين البوذا والمسيح عليه السلام، لأنه ينتقد كثيراً من تعليمات البوذا الإلحادية.

والكتاب يشتمل على أربعة أبواب، وستة عشر فصلاً.

يحتوي الباب الأول على عبادة "البرهما" وطريقتها.

(١) انظر تأثير "الفيدانت" على الفكر الصوفي في عقيدة "النرفانا".

والباب الثاني على وحدة الوجود، والرد على المبادئ البوذية
والجينية الإلحادية.

والباب الثالث على طريقة حصول النجاة وهي طريقتان، طريقة
العبودية الكاملة والفتاء فيها، وطريقة العلم الإلهي المتصل بمبدأ الفيض.
والباب الرابع على جزاء المجتهد في العبادة، كما يشتمل هذا
الباب أيضا على أحوال الأرواح التي اتحدت بالروح العليا.

وبالإجمال فإن كتاب "الفيدانت" يشتمل على عشر مقالات مهمة
من أمهات المسائل الفلسفية الهندوسية وهي: معرفة الإله، والروح،
وجولان الروح، والأحوال بعد الممات، وقانون الجزاء، والعبودية
المطلقة، والعلم الإلهي، والمغريات، والنجاة.

كما أن هذا الكتاب يعترف بثلاث حقائق أبدية وهي:

الأولى: بارمارتهك.

يعني أزلية الروح وقدمها.

الثانية: بيوهارتهك.

يعني الكون هو الإله وأنه يتجلى بالصورة البشرية لأنها أكمل
وأجمل.

الثالثة: برات باسك.

يعني ظهور التمويه، والتستر بالحقائق.

اتجاهات مفسري الفيّدانت:

اتجه مفسرو الفيّدانت اتجاهين مختلفين:

أحدهما: وحدة الوجود وسموه: أدويت واد.

والثاني: الاعتراف بحقيقتين وسموه: دويت واد.

دعا إلى الاتجاه الأول العالم الهندوسي الفلسفي المعروف "شنكرا جاريا" الذي سبق ذكره.

ودعا إلى الاتجاه الثاني العالم الهندوسي "رامانج".

وأهم الفروق بين الاتجاهين ما يأتي:

١- إن شنكرا جاريا ينفي جميع الصفات الذاتية والوصفية من برهما ويسميه "نرنكار" يعني الأله المطلق^(١) بينما يثبت رامانج الصفات الذاتية، يقول "إن برهما لا يتصور وجوده بدون الصفات فهو كالمعدوم".

٢- يقول شنكرا جاريا: الذي نراه بأعيننا ليس بحقيقة وإنما هو خدعة النفس، ثم تتلاشى، والعالم يشبه الحلم الذي لا حقيقة له في الوجود، وهو كالحبل الذي يراه الإنسان في الظلام ثعبانا، فإذا انتهى هذا العمل الذي يشبه اللعب لم يبق في الوجود سوى ذات "برهما".

(١) وهذا التصور يشبه إلى حد كبير ما قال به الجهمية.

ويقول أيضاً: "يجب أن يفهم الإنسان أن شخصه الخارجي الذي يشبه غيره في شيء، ويختلف عنه في شيء، والذي يولد ويموت، ويأكل ويشرب ليس في الحقيقة شيئاً مذكوراً، وإنما الذي يجب أن ينظر إليه في شخصه هو الحقيقة الإلهية. ولهذا يصح أن يقال له: أنت الإنسان والإله، وأنت الخالق والمخلوق، والعايد والمعبود.

وقال أيضاً: إن الإنسان لا يصل إلى "برهما" إلا إذا تحققت لديه المعرفة الكاملة، وتخلص من جميع علائق المادة، إذ هو في هذه الحالة وحدها يصل إلى درجة الغيبوبة الكاملة، أو التفاني في الإله، أو السعادة الأبدية".

والشرك عنده أن يزعم الإنسان أنه يعرف الله، فهذه العبارة تفيد الثنائية قارن بما دعا إليه "شنكرا جاريا" وبما قال ابن عربي الصوفي:

"فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها".

وقال:

فما نظرت عيني إلى غير وجهه وما سمعت أذني خلاف كلامه^(١)
بينما يرى "رامانج" أن الكائنات غير "برهما" مع أنها جزء منه،
والحقيقتان منفصلتان بعضهما عن بعض. وهما موجودتان بأنتم
صورتيهما. والنفس لها حرية مطلقة في عمل الخير والشر، ومدارنجاتها
محض التفات "برهما" إليها.

(١) الفتوحات المكية ٦٠٤/٢.

بالإضافة إلى هذين الاتجاهين فهناك اتجاهات أخرى في تفسير "الفيدانت" ولكنها لم تنتشر في الأوساط الهندوسية، ومن هذه الاتجاهات التفسيرية فكرة "نمبارك" (NIMBARAK) الذي يرى الوحدة في اثنين، والاثنين في الوحدة، وفكرة "مادهيا جاريا" الذي يؤمن بقدم "برهما" والعالم. ويفرق بين الخالق والمخلوق.

٨- اليوجا فانسشتا: (YOGAVASISHTA) يعتبر هذا الكتاب من أمهات الكتب الهندوسية، ومؤلفه أيضا مجهول كسائر الكتب المقدسة لدى الهندوس، ويرجع عهد تأليفه إلى القرن السادس وما بعده قبل الميلاد، وهو العهد المعروف لدى علماء الهندوس لتأليف كتبهم، إذ انتهى الآريون من الحروب الطاحنة. وبدأوا ينظمون حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية، كما بدأ علماءهم بتأليف الكتب الدينية على نمط القصص الروحانية، وفيها دروس فلسفية لاهوتية وأخلاقية.

وهذا الكتاب يحتوي على أربعة وستين ألف بيت، وكان الراهب "فاسشتا" (VASISHTA) يعلم تلميذه البار "رام جندرا" العلوم اللاهوتية، والعلوم الروحانية وعلوم المراقبة، التي توصل الإنسان إلى العالم الروحاني، والملا الأعلى حتى يتصل بـ "برهما" على حد زعمهم. هذا الكتاب فيه ثلاث طرق لليوجا:

أحدها: الاعتقاد بالوحدة، وهو أي يرى أن برهما هو وحده في العالم.

ثانيها: طمأنينة القلب، وهو أن يقهر نفسه حتى تكون تابعة له، ومن صارت نفسه نفساً مطمئنة فكأنه نجح من الآلام والمصائب الدنيوية التي تعترض كل إنسان كما يزعمون.

وثالثها: مخالفة النفس، لأن هذا الكتاب يصور الحياة كأنها مليئة بالخطايا والذنوب، والرغائب النفسية تجر الإنسان إلى الهلاك والزوال، فتقع البشرية في أحزان وآلام مستمرين إلى أن تختار النفس إحدى الطرق الثلاثة لتنتهي هذه الآلام والأحزان، وتحصل للإنسان حياة سرمدية مليئة بالمسرات والأفراح، وذلك باتصال النفس بالبرهما "عالم الملكوت".

وقد عرفت من كتاب الدكتور أحمد شلي "أديان الهند الكبرى" أن بعض أجزاء هذا الكتاب ترجمت إلى العربية ونقل منها بعض الفقرات في كتابه، وها أنا أنقل هذه الفقرات من كتاب أحمد شلي^(١): «السعادة لا سبيل لها في هذا العالم الذي خُلِقَتْ كل نفس فيه لتموت، كل شيء في هذا العالم سائر إلى الزوال والفناء، مسرات هذه الحياة ليست إلا خدعاً وأوهاماً، وقد سقطت الأفراح على الأحزان، أجل لم يشترنا أحد كما يُشترى العبيد، ولكننا نعمل كأننا عبيد مسخرون.

الرغبة فينا متقلقلة دائماً كالقرد، والنفس لا تشبع أبداً، ولا تقنع بما

في اليد، ولا تزال وثابة إلى ما لاتناله، ومهما أشبعها ازدادت جوعاً وطموحاً.

لاخير في الجسد، إنه محل للعاهات، ووعاء لسائر الآلام وهو سائر إلى الانحلال، اتصفت الطفولة بالضعف والتوقان والعجز، وعدم القدرة على الكلام، والتجرد من العلم، وياترى ماذا يجود علينا به زمن الشباب؟ وهل الشباب إلا كومضة برق، تخطف أبصارنا ثم لا تلبث أن تختفي، مفسحة الطريق للشيخوخة بآلامها الثلجية القاسية.

ما الحياة إلا كنور السراج الموضوع في الخلاء تلعب به الرياح من كل جهة، وليس بهاء الأشياء كلها إلا كومضة برق تنير لحظة، ثم تختفي إلى الأبد».

هكذا يصور هذا الكتاب الحياة، ويبعث في النفس اليأس والقنوط وهو مخالف تماماً لما يدعو إليه الإسلام.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

وبالإجمال فإن أكثر الرهبان الهنود قد تأثروا بهذا الكتاب، فقطعوا علاقاتهم الدنيوية، واتخذوا الكهوف والغابات مقراً للرياضة والمجاهدة. وكان الراهب "سوامي رام تيرث" خير مثال للرهبنة في العصر

(١) سورة الزمر: الآية ٥٣.

الحاضر. فقد صار محذوباً في آخر حياته. وكان يدعى: ما أَلَفَ كتابٌ تحت أديم السماء أعظم من كتاب "يوجا فاسشتا" فاقترضت الحكمة الإلهية أن تنسخ جميع الآديان السابقة، ويجعل القرآن الكريم دستوراً للحياة إلى الأبد لئلا يعود الإنسان إلى الجاهلية الأولى. فالحمد لله على نعمة الإسلام.

٩- دَهْرَمُ شَاسْتْرَا: (DHARAM SHASTRA)

وهي مجموعة من الكتب الفقهية للديانة الهندوسية، وهي أصل "الفيدانت" وفقهها، إلا أن أغلب هذه الكتب ضاعت ولم يبق منها إلا ستة عشر كتاباً وأشهرها "منو اسمرتي" أي شريعة "منو" أو مذكرات "منو".

محتويات دهرم شاسترا:

تحتوي هذه الكتب على ثلاثة عناوين رئيسة وهي:
الأول: الأحكام لأدوار حياة الإنسان التي تنقسم إلى أربعة وسمياتي ذكرها بتفصيل.

الثاني: الحدود والجنايات.

الثالث: العقاب الذي يلحق الهندوسي إذا لم يخضع لقوانين وأحكام الشريعة.

وأما "منو" هذا فإن أقوال الهندوس تتضارب حول التعريف به، فأحياناً يقولون هو أول إنسان وجد على وجه الأرض بعد الطوفان

الَّذِي أَغْرَقَ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمِنْهُ بَدَأَ الْخَلْقَ مِنْ جَدِيدٍ، وَأَحْيَانَا يَقُولُونَ: هُوَ الرَّاهِبُ الْأَكْبَرُ الَّذِي يَقْبَلُ الْقَرَابِينَ، وَيَحْدُدُونَ زَمَنَهُ بَيْنَ ١٠٠٠-٦٠٠ ق م.

وبعد هذا التعريف بشخصية "منو" أرجع إلى أصل الكتاب فأقول: هذا الكتاب يشتمل على اثني عشر باباً، وفيه ٢٦٩٤ بيتاً. وإليك ذكر أسماء الأبواب فقط:

الباب الأول: يتحدث عن خلق العالم، وكيفية وجود الحياة في الكون، وحدث القيامة، ثم فناء العالم نهائياً.
الباب الثاني: يتحدث عن أحكام "برهما جاريا أشرم" (وهو الدور الأول من عمر الإنسان).

الباب الثالث: يتحدث عن أحكام النكاح، وأقسامه، وتقديم القرابين لبرهما.

الباب الرابع: يتحدث عن أحكام "جارهستا أشرم" (الدور الثاني من عمر الإنسان) والانقياد لأحكام "الفيدانت"، والتحذير من الأعمال السيئة.

الباب الخامس: يتحدث عن أحكام الزوجين، وثواب المرأة الوفية لزوجها.

الباب السادس: يتحدث عن "فان پرستا أشرم" أي أحكام ترك الدنيا (وهو الدور الثالث من عمر الإنسان). ودراسة "الفيدانت"،

والتفكر في معانيها.

الباب السابع: يتحدث عن أحكام السلطان، وإقامة الحدود، وأحكام قائد الجيش، وحالة الحزن والألم في حياة الإنسان.

الباب الثامن: يتحدث عن أحكام المحاكم، والعقاب على ترويع الحكايات الكاذبة، وأنواع العبودية تجاه السلطان.

الباب التاسع: يتحدث عن أحكام الرجل والمرأة، كما يتحدث أيضا عن أحكام السلطان.

الباب العاشر: يتحدث عن وظائف الطبقات الأربع في المجتمع الهندوسي، وسيأتي بعض تفاصيلها قريبا.

الباب الحادي عشر: يتحدث عن أنواع الفقر عند النساء.

الباب الثاني عشر: يتحدث عن أنواع قانون الجزاء، وكيفية حصول النجاة من جولان الروح.

هذا هو كتاب "منو" شريعة الهندوس وستجدون في الصفحات القادمة اقتباسات من هذا الكتاب، فإنه بمثابة الفقه عند الهندوس، وهو مستمد من أصول تعاليم "الفيدات".

الطبقات في المجتمع الهندوسي

من الأمور المأخوذة على الديانة الهندوسية إقرارها بوجود الطبقات في المجتمع الهندوسي. فإن الدين الآري يقسم الإنسان حسب نسبه إلى أربع طبقات، ويضع لكل طبقة أحكاماً ووظائف لا تتجاوزها. فخصص جميع أعمال الشرف والكرم لطبقة "البراهمة"، وجعلها في أعلى الطبقات البشرية، وزعم أن وجودها مستمد من وجود "البرهما" (الخالق)، وهو المصدر الأعلى لهذه الطائفة، ومرجعها الاتحاد والحلول في ذاته العليا. وجعل "الشودرا" (المنبوذين) في أرذل الطبقات البشرية، وجردهم من جميع الخصائل الإنسانية فهم كالحیوان بل أذل منه، إذ تقدس البقرة وتعبد، بينما تستهان طائفة "الشودرا"، والله إنه لجور وعدوان على الجنس البشري، ولا سبيل إلى إنقاذ هذه الفئة من الناس إلا بدعوتهم إلى سماحة الإسلام الذي يجعل التقوى مقياساً للشرف والكرم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).

والمصدر الأساسي لخلق هذه الطبقات هو كتابهم المقدس "ريج فيدا" وتلي ذلك شريعة "منو" لوضع التفاصيل الدقيقة، وتوزيع وظائف كل طبقة منها.

وإليكم ما جاء في "ريج فيدا".

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

"خلق الله طائفة البراهمة" من فمه، "والكشترى" من عضده،
والويش" من فخذة، "والشودرا" من رجله"^(١).

هذه الفقرة من ريچ فيدا، هي الحد الفاصل بين الطبقات الهندوسية
ولن تنتهي هذه الطبقات مادامت هذه التعليمات موجودة في الكتب
المقدسة لدى الهندوس. والجهود التي تبذل في إزالة الحواجز الطبقية
مصيرها الإخفاق بلاشك.

بل لم يتحرج علماء الهندوس أن يخاطبوا طائفة الشودرا بالجنرال
(CHANDAL) أي الرجل النجس، والدني والحقير، ففي أبانشاد
(CHANDOCYA) سميت هذه الطبقة باسم: البراهمة، والكشترى،
الويش والجنرال"^(٢).

وأحيانا تتجاهل الكتب الهندوسية ذكر طائفة الشودرا وكأنهم
ليسوا من جنس البشر"^(٣).

وتجد الكتب الهندوسية طائفة البراهمة وتجعلها فوق المسؤولية
وكانها جنس ملكوتي، ففي إحدى فقرات "ريچ فيدا" أن الزوج
الحقيقي للمرأة على وجه الأرض هو رجل برهمي، وإن كان لها زوج

(١) الريچ فيدا ١٠/٩٠/١٢.

(٢) ٧/١٠/٥.

(٣) آتور فيدا ٩/١٧/٥، وميتراياني سنهتا ٥/١/٣، وتيتاري براهمان

١٢، ٩، ٢/٣، وتيتاري سنهتا ٥، ٢/٦.

من الكشتري أو الويش^(١).

ومعنى هذا أن البرهمي يجوز له أن يتزوج بأية امرأة حتى ولو كانت متزوجة من الكشتري أو الويش فإن زوجها الحقيقي هو رجل برهمي.

وهنا لم تذكر طائفة الشودرا احتقاراً لها، لأنه إذا جاز للبرهمي أن يتزوج بامرأة الكشتري أو الويش فبامرأة الشودرا أولى.

وفي كتاب "شات بات براهمان" إن ابنة الملك "شريات" التي كانت تسمى "سوكينا" كانت متزوجة برجل اسمه "جيوان" (CHAYAWAN) ثم تزوجت أيضاً برجل برهمي^(٢) وكذلك ابنة "رات ويتي" (RATHVITI) التي كانت متزوجة برجل اسمه "شيا واشيا" ثم تزوجت أيضاً برجل من البراهمة^(٣).

هكذا نجد في الكتب الهندية أن الآريين فرضوا سيادتهم على الطبقات الأخرى، وأهانوها شراً هانة، وأشاعوا بين الناس أنهم من سلالة البرهما (الخالق) حتى لا يجرؤ عليهم أحدٌ بالجرح والنقد، ولو عملوا عملاً مخالفاً للشرف.

وفي اعتقادي أن أغرب الأمور في تاريخ البشر أن يصير الفاتح

(١) آتور فيدا ٢٤/٤ - ٢٥.

(٢) شات بات براهمان ١/٤، ٧، ٥.

(٣) برهاد يوتا ٥/٥.

مقدساً، والمغلوب نجساً، والتاريخ يحدثنا عموماً عن كراهية المغلوبين للفاحين في أكثر الأحيان.

وبعد هذه الكلمات الموجزة أذكر تفاصيل وظائف كل طبقة من الطبقات الهندوسية ليتجلى الأمر ويكون أكثر وضوحاً عن وضع المنبوذين في الهند البالغ عددهم أكثر من مائتي مليون نسمة.

الطبقة الأولى: البراهمة:

وإليك وظائفهم وواجباتهم على نحو ما جاء في شريعة "منو" (MANUSMRTI).

- ١- "تقوم طائفة البراهمة بتعلم أسفار الفيدات وتعليمها"^(١).
- ٢- "البراهمة لهم السيادة على جميع الطبقات الأخرى"^(٢).
- ٣- "يكون البرهمني موضع تقديس وعبودية ولو عمل عملاً مخالفاً للشرف"^(٣).
- ٤- "كما أن "أغني" يعد من الآلهة الكبيرة، فكذلك البرهمني يعد إلهاً من الآلهة الكبيرة"^(٤).
- ٥- "أفضل الأعمال للبراهمة تعلم الفيدات، وأفضل الأعمال

(١) الباب العاشر: ١.

(٢) الباب العاشر: ٣.

(٣) الباب التاسع: ٣١٩.

(٤) الباب التاسع: ٣١٧.

للكشتري الدفاع عن الوطن، وأفضل الأعمال للويش
الاشتغال بالتجارة^(١).

٦- "يجوز للبرهمي إذا ما افتقر أن يتسول، ولا يعاب عليه، كما
يجوز له أيضا أن ينهب أموال الآخرين"^(٢).

٧- "إذا كان للبرهمي أزواج من جميع الطوائف فيجعل ميراثه
بسبع حصص ونصف، فتأخذ المرأة البرهمية ثلاث حصص،
وتأخذ المرأة الكشترية حصتين، وتأخذ المرأة الويشية حصة
ونصف حصة، وللمرأة الشودرية حصة واحدة فقط"^(٣).

٨- "على السلطان أن يتجنب قتل برهمي ولو ارتكب أبشع
الجرائم، ولكن له أن يطرده إذا رأى ذلك على أن يترك له
جميع أمواله، وألا يصيبه بأذى".

٩- "لا يجوز للسلطان أن يتعامل مع البرهمي معاملة الضيق حتى
في حالة القحط، لأن ذلك سيعدم حكمه"^(٤).

١٠- "الولد البرهمي البالغ من عمره عشر سنوات يكون موضع
احترام لدى غيره وإن كان عمره مائة عام"^(٥).

(١) الباب العاشر: ٨٠.

(٢) الباب العاشر: ١٠٣-١٠٤.

(٣) الباب التاسع: ١٥١-١٥٢.

(٤) الباب التاسع: ٣١٣.

(٥) الباب الثاني: ١٣٥.

الطبقة الثانية: الكَشْتَرِي:

وتسمى أيضاً الطائفة الراجبوتية. وهي منسوبة إلى الولاية الواسعة الممتدة من السند إلى مداخل مدينة آجرا، ومن جنوب البنجاب إلى غواليار، وكان أغلب ملوك الهند من راجبوت. وهم رجال أقوياء، لأنهم عاشوا في صحرائها الكبرى. وحياتهم كانت شبه بدوية، وكانت من ممالكهم الشهيرة مدينة لاهور ودهلي وقنوج وأجودھينا، وقد حارب راجبوت المسلمين في القرن الرابع عشر وتم الفتح عليهم في عهد جلال الدين أكبر (١٥٥٦م-١٦٠٥م) أمراطور الهند.

وقد رأى الآريون بعدما تم لهم الفتح على الهند أن ينصبوا راجبوت ملكا على البلاد لإخماد الثورات الداخلية. وجعلوا أنفسهم وزراء لهم، لأن راجبوت رجال أقوياء في الجسم وضعفاء في العقول، هكذا تمكن الآريون أن يستعمروا بلاد الهند ويضمنوا لأنفسهم البقاء إلى الأبد، فوضعوا لطائفة الكَشْتَرِي وظائف دينية وهي أشبه بالأحكام السلطانية.

وإليك بعض هذه الوظائف:

١- "ينصب الملك من الكَشْتَرِي".

٢- "إن الذين تغذت عقولهم بتعاليم الفيدات هم الذين يصلحون أن يكونوا قوادا، أو ملوكا، أو قضاة، أو حكاما للناس".

٣- "لا يجوز للملك أن يأخذ أموال البراهمي الذي يموت بلا

وارث، بينما يجوز له أن يأخذ أموال الطوائف الأخرى في حالة عدم الوارث".

٤- "يأمر الملك بقطع يد السارق ثم يصلبه".

٥- "يأمر الملك بقطع أصابع السارق في المرة الأولى، فإذا عاد إلى السرقة يأمر بقطع يديه ورجليه، وإن عاد الثالثة يأمر بالقتل، والذي يؤوي السارق ويقدم له الطعام واللباس، ويحفظ أموال السرقة يعامل معاملة السارق في العقوبة".

٦- "الذي يأخذ الرشوة في الحكم تصدر أمواله".

٧- "تأخذ الحكومة من الويش الثمن من أموال التجارة، ونصف العُشر من الزراعة".

الطبقة الثالثة: الويش:

ويقال لهم التورانيون، إنهم قوم من تركستان وتوران هاجروا إلى الهند منذ آلاف السنين. ووقعت معارك طاحنة بينهم وبين أصل سكان الهند، وفي النهاية استسلم أهل الهند أمام هؤلاء الغزاة الذين كانوا رجالاً أقوياء في الجسم وعدة الحرب، والتقى الآريون بالتورانيين، وتصلحوا في سياسة الأمور فكان من نصيبهم أن يشتغلوا بالتجارة والزراعة لخبراتهم الواسعة في هذا الميدان، ووضعت لهم القوانين في شريعة "منو"، وهذه بعض منها:

- ١- "تقوم طائفة الويش بالزراعة والتجارة وتربية المواشي"^(١).
- ٢- "إذا عجز الويش عن كسب العيش يجوز له أن يعمل عمل السودرا من خدمة البراهمة وغيرها. فإذا استغنى عنها تركها"^(٢).
- ٣- "على الويش بعد أن يتزوج أن يسعى إلى تحصيل رزقه بما فرض عليه من أعمال وتربية المواشي، لأن إله المخلوقات كما عهد بالمخلوقات حين خلقها إلى البرهمن والكشترى، فكذلك عهد بالمواشي وتربيتها إلى الويش".
- ٤- "على الويش أن يكون عالما بقيمة الجواهر واللؤلؤ والمرجان والمعادن والثياب والعطور والبهارات".
- ٥- "كما يجب عليه أن يكون عالما بكيفية بذر البذور، وبصلاح الأرض وفسادها، وبالموازين والمكاييل".
- ٦- "ويجب عليه فوق ذلك أن يكون عالما بجيد البهارات ورديتها، وبحالات البلاد، وبمراحب التجارة وخيراتها، وبطرق تنمية المواشي وتربيتها".
- ٧- "وعليه أن يكون عالما بواجبات العمل والخدم، كما يجب عليه أن يكون عالما بوضع لغات، وبطرق التجارة وأساليبها، وبأصول البيع والشراء".

(١) الباب التاسع: ٣٢٨.

(٢) الباب العاشر: ٩٨.

٨- "وعليه أن يجاهد نفسه لتنمية أمواله بالطرق المشروعة، وأن يطعم كل المخلوقات".

الطبقة الرابعة: الشودرا:

وهم قوم من أصل سكان الهند والتورانيين. وهم الذين حاربوا الآريين طوال ألف سنة تقريباً، وفي النهاية استسلموا لهم، ووقعوا أسارى في أيديهم. فعذبهم الآريون أشد عذاب، ومن بقي منهم لجأ إلى قمم الجبال. كما هربت جماعة منهم إلى شمال الهند، وقد تمكن الآريون أن يخرجوا من قلوبهم فكرة حياة كريمة حرة ووضعوا لهم وظائف وأعمالاً دينية في شريعة "منو" والحرب لا تزال قائمة بين هذه الطائفة وبين الآريين في جنوب الهند.

وأستعرض بعض صور من كراهيتهم وحقدهم للآريين في الصفحات القادمة.

وإليك الآن وظائف الشودرا كما في شريعة "منو".

١- "يجب على طائفة الجنرال (أي الشودرا) أن يعيشوا في خارج القرى، ويستعملوا الأواني من الطين، ويكون من أموالهم الحمار والكلاب، ويلبسوا أكفان الموتى، والحليّة من الحديد، ولا يتجولوا من مكان إلى مكان، ويكون تعاملهم مع طوائفهم فقط، ويحظر عليهم التحول في الليل في القرى والمدن"^(١).

٢- "لا يجوز للشودري أن يجمع أموالاً زائدة عن حاجته، لأن

ذلك يؤذي البراهمة"^(١).

٣- "إذا لم يجد الشودري من خدمة البراهمة قوت حياته، يجوز له

أن يخدم الكشترى والويش ولكن من العزيمة أن يصير على

خدمة البراهمة ليفوز بالجنة، لأنه من أفضل أعماله، ولا يجوز

له أن يتدخل في أمور الدين"^(٢).

٤- "خدمة البراهمة توصل الشودري إلى الجنة"^(٣).

٥- "الشودر الذي يكون تحت البراهمة يولد في الحياة الثانية في

أعلى طبقة"^(٤).

٦- "الشودر الذي يحاول النيل من البراهمة سيحاكم وينزل عليه

أشد عقاب"^(٥).

٧- "ولد البراهمي من المرأة الشودرية لا يستحق الإرث"^(٦).

(١) الباب العاشر: ١٢٩.

(٢) الباب العاشر: ١٢١-١٢٢، ١٢٤.

(٣) الباب التاسع: ٣٣٤.

(٤) الباب التاسع: ٣٣٥.

(٥) الباب التاسع: ٢٤٨.

(٦) الباب التاسع: ١٥٥.

٨- "لقد أمر الله الشودر بأمر واحد وهو خدمة الطوائف الثلاث ولا يجد في نفسه حرجاً"^(١).

هذه بعض الوظائف للطبقات الأربعة في الهندوسية، والقارئ يلاحظ بوضوح جور الهندوسية على طائفة الشودرا التي هي من أصل سكان الهند، وهي الطائفة التي قاومت الآريين ووقفت أمامهم سداً منيعاً مئات السنين، وفي النهاية خسرت المعركة المصيرية ووقعت في أيدي الغزاة، وعوملت معاملة سيئة، وعوقبت شر عقاب على شجاعتها وبطولتها.

وهذا النظام الطبقي لا يزال سائداً في أنحاء الهند، وقد كان في الزمن الماضي صراع شديد نحو هذه الطبقة المظلومة، وأذكر قصة بقيت في حافظتي وهي أنه في حدود ١٩٣٦م ترأس عليهم الدكتور "أمبادكر" أحد رجال القانون، وهو من واضعي دستور الجمهورية الهندية، فبعد بحث وتحقيق تأثر بالإسلام أكثر من غيره. وأعلن في الصحف الهندية أنه لا يوجد دين أفضل من الإسلام على وجه الأرض، ولكن المسلمين فرقوا هذا الدين إلى فرق كثيرة يكفر بعضها بعضاً فلا فائدة لنا بالدخول في الإسلام لأننا نبقي كما كنا كافرين، فأمر أصحابه أن يدخلوا في الديانة البوذية^(٢).

(١) الباب الأول: ٩١.

(٢) صحيفة (زمندار) عام ١٩٣٦هـ.

ثم ماذا حصل؟ ففي أوائل الثمانين الميلادية في القرن الحالي دخل جماعة من المنبوذين في منطقة "تامل نادو" في الإسلام. وأحدث ذلك ضجة كبيرة في الأوساط الهندية. وإليك بعض الشيء عن هذه القضية.

موقع تامل نادو:

تقع منطقة "تامل نادو" في أقصى جنوب الهند.

عدد السكان: يبلغ عدد سكان "تامل نادو" ٤٨ مليون نسمة.

عدد المسلمين: ثلاثة ملايين.

عدد النصاري: ثلاثة ملايين ومئتا ألف.

والباقيون من الهندوس منهم عشرة ملايين من المنبوذين.

لقد قام في النصف الأول من القرن الحالي: "راما سوامي ناتكر" (RAMASWAMI NATAKER) بإصلاح واسع في طبقة المنبوذين، وأسس لهذا الغرض جمعية (DRAWID KAZHCAM) وقد أثمرت جهود هذا الرجل فتوجه كثير من المنبوذين إلى دراسة الأديان الأخرى من النصرانية والبوذية والإسلام، وإن كثيراً منهم تأثروا بالإسلام أكثر من البوذية والنصرانية لوجود تصور واضح عن الله سبحانه وتعالى، كما أنهم تأثروا أيضاً بنظرية المساواة في الإسلام بين جميع البشر، إلا أن دخولهم في الإسلام لم يكن بأفواج، وفي الأعوام الماضية قام العلماء والدعاة بالدعوة والتبليغ بنطاق واسع، فنشروا عشرات الكتب الإسلامية باللغة التاميلية، فبدأ الناس يدخلون في الإسلام أفواجا، وقد

أثارت قضية دخولهم في الإسلام ضجة كبيرة في أنحاء الهند.
وأذكر هنا بعض مقتطفات من الصحف الهندية.

١- الصحف التاميلية:

كتبت صحيفة (DAILY DINA MALAR) في ١٩٨١/٦/٢٩ م تحت عنوان "العبرة التي أخذناها من ميناكشي بورم"^(١) إن عدد سكان ميناكشي بورم يبلغ ٩٤٥ نسمة، وقد أسلم منهم ٥٥٨، ومستواهم التعليمي والثقافي أحسن من غيرهم، منهم طبيبان ومهندس وجملة من الأساتذة، وفي ١٩٨١/٢/١٩ م غيروا اسم قريتهم فسموها "رحمت نكور" ولما قيل لهم إن الحكومة الهندية سوف تسحب جميع التسهيلات التي منحت لهم. قالوا بلسان واحد: نحن دخلنا في الإسلام كي نعيش عيشة كريمة، ونحن مستعدون أن نتخلى عن جميع التسهيلات الحكومية".

وكتبت الصحيفة نفسها في ١٩٨١/٦/٢٥ م "أن أحد رجال الحكومة أعلن أن الحكومة قررت أن تسحب جميع التسهيلات التي منحت للمنبوذيين بعد دخولهم في الإسلام، منها التعليم المجاني، والمنح الدارسية للدراسات العليا، والكتب الدارسية المجانية، وتخصيص ١٨٪ من الوظائف الحكومية، كما أن الحكومة تمنح لهم قروصاً للزراعة،

(١) وهي إحدى القرى في أقصى جنوب الهند أسلم أكثر سكانها وسموا القرية "رحمت نكور" يعني مدينة الرحمة.

وبناء المساكن، وأن من يدخل في الإسلام سوف يحرم من هذه التسهيلات.

ونشرت هذه الصحيفة في يوم ٢٧/٦/١٩٨١م مقابلة صحفية مع بعض المسلمين الجدد منهم من يسمى أحمد أنه قال: كنت إلى أمس أعبد (MURUGAN) وأما اليوم فأعبد الله وحده لاشريك له الذي بيده الحياة والموت ، وأذهب إلى المسجد، وأصلي مع المسلمين، ولم يسلم أحد من أهل بيتي، وإني لن أكره أحداً على ذلك.

وقالت الصحيفة: والذين دخلوا في الإسلام غيروا كثيراً من أحوالهم الاجتماعية وجعلوها طبقاً للإسلام.

وقد تحمس أحد المسلمين الجدد في الإجابة وانتقد الحكومة الهندية التي تفتري عليهم، بأنهم دخلوا في الإسلام من أجل المادة وقال: "من يثبت أنني أخذت مالا لأجل الإسلام فليكن مصيري الإعدام" وقال: "إذا أراد أهل الهند أن يعيشوا بالأمن والاستقرار فعليهم أن يعملوا على الإسلام.

هذه بعض مقتطفات الصحف التاميلية.

٢- الصحف الأردنية:

ومن الصحف الأردنية ما تسمى "برتاب" يرأسها رجل هندوسي متعصب وهو "كي بريند" بدأ هذا الرجل يفتري على الدول الإسلامية منذ دخول المنبوذين في الإسلام، وأنقل هنا بعض مقتطفات من هذه الصحيفة.

في ١٩٨١/٦/٢م كتبت الصحيفة وقالت: "إن دخول المنبوذين في الإسلام يعتبر مؤامرة من الداخل والخارج ضد الطوائف الهندوسية، وقد طالب ثلاثة من كبار زعماء "آريا سماج" من الحكومة الهندية أن تتخذ خطوات لازمة لمنع انتشار الإسلام في طبقة المنبوذين، وإلا فسوف تضطر جماعة "آريا سماج" لأخذ موقف متشدد تجاه هذه القضية، وقد طالب هؤلاء أيضا بإغلاق المركز الإسلامي في جنوبي الهند الذي يقوم بتعليم المسلمين الجدد.

وكتبت الصحيفة في ١٩٨١/٥/٢٣م تحت عنوان: "ماذا حدث في ميناكشي بورم" إن دخول المنبوذين في الإسلام في ميناكشي بورم أحدث ضجة كبيرة في الأوساط الهندية. وقد توجه إلى هذه المنطقة جماعة من الهندوس لاستطلاع أحوال المسلمين الجدد، فتبين لهم أن المؤامرات الخارجية ضد الهندوسية وراء دخول هؤلاء في الإسلام، وقالوا أيضا: إن الدول العربية تنفق أموالا طائلة لإدخال هؤلاء في الإسلام، وقالوا أيضا: نحن رأينا عشرات الآلاف من البنات الهندوسيات يصدرن إلى الدول العربية لخدمة العرب، وسوف يكون مصيرهن الدخول في الإسلام.

وكتبت الصحيفة في ١٩٨١/٦/١٥م تحت عنوان: "على الهندوس أن يتنبهوا" وقد طالبت الصحيفة من الهندوس أن لا يحقروا المنبوذين، وإلا فإنهم يدخلون في الإسلام أفواجا.

هذه بعض افتراءات صحيفة "برتاب" لإحداث فتنة بين المسلمين والهندوس، ومن المتوقع أن تحدث هذه الفتنة بين عشية وضحاها.

وأما صحيفة "الحياة" فقد كتبت في ١٩٨١/٦/٢١م تحت عنوان "لماذا هذه الضجة الكبيرة لدخول المنبوذين في الإسلام" وسألت الصحيفة ألم تكن حياة المنبوذين في الهند أذل من الحيوان. وماذا عملت الحكومة الهندية لإصلاح هؤلاء بعد تحرير الهند. ولما التجأ هؤلاء المظلومون إلى الإسلام فلماذا هذه الصيحات والضججات.

وكتبت صحيفة "الدعوة" اليومية التي تصدرها الجماعة الإسلامية في الهند تحت عنوان "بعد ظلم الهندوس اختار المنبوذون الإسلام" وغيروا اسم مدينتهم ميناكشي بورم وسموها (رحمت نكر) إن جماعة "آريا سماج" تقوم بحملة واسعة لارتداد هؤلاء عن الإسلام.

٣- الصحف الإنجليزية:

وقد توجه مندوب جريدة "إنديان إكسبريس" (INDIAN EXPRESS) الصادرة من مدينة "مدراش" إلى المناطق التي يكثر فيها الدخول في الإسلام، وكتبت في ١٩٨١/٦/١٧م مقالات طويلة مدعمة بالصور وألخص منها ما كتب هذا المندوب..

١- الذين دخلوا في الإسلام أنكروا إنكاراً شديداً، بأنهم أكرهوا على ذلك، أو أعطيت لهم رشوة للدخول في الإسلام وقالوا: "نحن دخلنا في الإسلام برضا ورغبة منا بعد قناعة تامة بأن الإسلام هو دين

الحق، يخرج الإنسان من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة الآلهة الكثيرة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولا فرق في الإسلام بين إنسان وإنسان إلا بالتقوى.

وقال: إن المسلمين رَحَّبوا بالمسلمين الجدد، ونتيجة لذلك فقد تغير أسلوب حياتهم بين عشية وضحاها. وبدأ الخوف يسيطر على الهندوس بأن جميع أهالي هذه المنطقة سوف يدخلون في الإسلام، ولا يبقى أحد على الهندوسية في الأعوام القادمة.

وقال: "إن الهندوس الآخرين ينتظرون مصير إخوانهم الذين دخلوا في الإسلام، فإذا اصلحت أحوالهم، فهم أيضا سوف يدخلون في الإسلام.

وقد اشتكى بعض الزعماء الهندوس بأن كل ما حدث كان نتيجة للطمع والخوف إلا أن مندوب الصحيفة غير مقتنع بهذا.

وكتبت الجريدة نفسها في ١٩٨١/٦/٢١م وفي ١٩٨١/٦/٢٣م بأن المنظمات الهندوسية تخطط لارتداد هؤلاء عن الإسلام.

وكتبت الصحيفة في ١٩٨١/٦/٣٠م أن ما حدث في "تامل نادو" كان نتيجة لظلم الهندوس للمنبوذيين، وقد أعلن أحد زعماء المنبوذين وهو السيد "ويلو" بأن خمسين ألفاً من المنبوذين مستعدون للدخول في الإسلام، لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يخرجهم من ظلم الهندوسية.

ويقول مندوب الجريدة: "أينما توجهنا وجدنا المنبوذين يكرهون الهندوسية كرهاً شديداً، وكل يرغب أن يدخل في الإسلام، ومن المتوقع أن يدخل الناس في الإسلام أفواجاً بعد خروج زعمائهم من السجون.

وكتبت جريدة "سندي" (SUNDAY) الصادرة من مدينة "كلكتا" في ١٩٨١/٦/٧م مقالاً خاصاً في موضوع انتشار الإسلام في "تامل نادو" وبينت فيه الأسباب والدوافع التي جعلت هؤلاء يدخلون في الإسلام.

وكتبت صحيفة "هندوستان تايمز" (HINDUSTAN TIMES) في ١٩٨١/٥/٥م أن جماعة "آريا سماج" اتهمت المسلمين بأنهم أكرهوا المنبوذين على الدخول في الإسلام، ولكن الحكومة لم تؤيد هذا الاتهام، وقالت الصحيفة: لم يثبت لدى الحكومة الهندية حتى الآن أنهم دخلوا في الإسلام مكرهين.

وقالت الصحيفة: إن المسلمين الجدد وقعوا في عدة مشاكل، إلا أنهم واثقون بأن أولادهم سوف يتمتعون بنعمة الإسلام إن لم يتيسر لهم ذلك.

هذه بعض مقتطفات من الصحف الهندية.

وأما رد فعل الهندوس فإنهم دعوا إلى عقد مؤتمر هندوسي كبير في عاصمة الهند دلهي في ١٩٨١/٩/١٨م فاجتمع أكثر من مائة ألف من

الهندوس من أنحاء الهند. وترأس المؤتمر السيد/ كران سنغ الوزير المركزي الأسبق وقال في افتتاحية المؤتمر: إن دخول الهندوس في الأديان الأخرى (خاصة الإسلام) سوف يحدث عدة مشاكل، واعترف في كلمته بأن الهندوسية لا تعترف بحقوق المنبوذين الإنسانية، وتأسف على هذا، ولكنه دعا الهندوس إلى الاتحاد والتضامن، ونبذ الخلاف فيما بينهم، والقيام بالإصلاح العام في المجتمع الهندوسي...^(١)

واتهم السيد "جَاكَجِيُون رَام" زعيم المنبوذين بأن الحكومة الهندية أوعزت إلى جماعة "أر - إيس - إيس" (جمعية هندوسية متعصبة) بعقد هذا المؤتمر الهندوسي الكبير، وقال: إنني لا اعتقد أن دخولهم في الإسلام يصلح أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، ولكن سوف يزيل عنهم الظلم والاستبداد من قبل المجتمع الهندوسي^(٢).

أقول: إن الغرض الأساسي لعقد هذا المؤتمر هو توعية الهندوس توعية هندوسية، وإشعارهم بخطورة الإسلام على الهندوسية في شبه القارة الهندية، وقد نجح المؤتمر في بعض مقاصده، فقد تم بعد ذلك تكوين عدة جمعيات دينية متعصبة تقوم بنشاطات واسعة ضد الإسلام في المناطق التي يكثر فيها دخول المنبوذين في الإسلام، وكان من أكبر تجمع ديني هندوسي لهذا الغرض هو دعوة الرهبان الهندوس من أنحاء

(١) صحيفة الدعوة اليومية ١٩٨١/٩/٢٠ م.

(٢) صحيفة الدعوة اليومية ١٩٨١/٩/٢١ م.

الهند للقيام بحملة واسعة ضد الإسلام. وقد تقدم للتسجيل أكثر من ثلاثة آلاف من الرهبان، والمتوقع أن يزداد هذا العدد للغرض المذكور أعلاه في المستقبل.

وسوف يقوم هذا الفوج بهيئته الرهبانية بجولات واسعة في مدن الهند الرئيسية، لمنع المنبوذين من دخولهم في الإسلام. وفي نية هؤلاء أن يأكلوا ويشربوا مع المنبوذين (وهو محرم عليهم شرعاً) ليشرعروهم بأخوتهم في الهندوسية، وتعاطفهم في الإنسانية. وكل هذا يدعو المسلمين إلى التفكير الجدي في قضية المنبوذين.

الفقه الهندوسي:

أحكام الأدوار الأربعة للحياة الهندوسية:
الديانة الهندوسية تقسم الإنسان إلى أربعة أدوار حسب أعمارهم، وتضع الأحكام الخاصة لكل دور من هذه الأدوار، وكل دور من هذه الأدوار يستغرق خمساً وعشرين سنة باعتبار أن متوسط العمر مائة عام.

يقول "منو" في شريعته:

"والآن اذكر أحكام الرهبان وهم على أربع فئات:

الفئة الأولى: "برَهْمًا جَارِيًا أَشْرَمَ" يعني به دور التربية والتعليم.

الفئة الثانية: "كِرْهَسْتًا أَشْرَمَ" يعني به دور الحياة العائلية.

الفئة الثالثة: "سَنِّيَّاسَ أَشْرَمَ"، يعني به دور التربية الجسدية والروحية.

الفئة الرابعة: "بَانْبَرَسْتْ أَشْرَم"، يعني به دور الحياة الرهبانية.

ثم يقول:

"هذه الأقسام كلها مستمدة من دور الحياة العائلية فكما أن جميع الأنهار تنصب على البحر فكذلك جميع الأقسام تتصل بـ"كرهستا آشرم"^(١).

وإليك بعض أحكام لكل هذه الفئات:

برهما جاريا آشرم: يبدأ هذا الدور من ثماني سنوات إلى أربع وعشرين سنة، ومن أكد الواجبات لهذا الدور أن يتجنب الطالب استعمال العطور، والتزيين الظاهري، ويتعد عن النساء.

يقول "ديانند":

"وإن تزوج الطالب في دور "برهما جاريا" فعليه أن لا يقرب من زوجته، ولا يبيت معها"^(٢).

يقول منو: "

أول عمل يقوم به الطالب في الدور الأول من الأدوار هو التسول من أمه، أو أخته، أو خالته، أو من أي امرأة لا ترفض"^(٣).
و"عليه أن يأكل وجبة واحدة في كل يوم"^(٤).

(١) الباب السادس: ٩٠-٩٤.

(٢) ستيارتها بركاش، الباب الثالث ص ٦٨.

(٣) منو، الباب الثاني: ٥٠.

(٤) منو، الباب الثاني: ٥٥.

و"في بداية الدرس ونهايته يسجد الطالب للشيخ، ويقف أمامه كما يقف المصلي أمام الله إلى أن يأذن له بالانصراف"^(١).

و"يجب على الطالب أن يسيطر على جميع شهواته، ويبت في بيت شيخه ويستحم يوميا لتقديم القرابين للآلهة"^(٢).

"يحرم على الطالب شرب الخمر، وأكل اللحم، واستعمال الطيب، وقرب النساء، وقتل الحيوان، كما يحرم عليه النظر إلى امرأة بشهوة، لكي يحافظ على المنى ولو في المنام، وإن احتلم بعد كل هذه التدابير فعليه أن يستحم ويصلي للشمس طويلاً"^(٣).

"على الطالب أن يقوم بالتسول من الأسرة المتمسكة بتعاليم "الفيدا" ويتجنب السؤال من أسرته الخاصة، وعوائل شيخه إلا إذا لم يجد من يتصدق عليه فلا بأس بالتسول من هؤلاء"^(٤).

"الطالب الذي يستمع إلى غيبة شيخه يولد في الحياة الثانية في جنس الحمار، والذي ينتقذه يولد في هيئة الشيطان، والذي يضع أمواله يولد في حالة الحشرات"^(٥).

(١) منو، الباب الثالث: ٧١.

(٢) منو، الباب الثاني: ١٧٥-١٧٦.

(٣) منو، الباب الثاني: ١٧٧، ١٨٢.

(٤) منو، الباب الثاني: ١٨٣-١٨٤.

(٥) منو، الباب الثاني: ٢٠١.

"يحرم على الطالب الجلوس مع شيخه في العربات، والحصير، والكرسي، والركوب على السفينة احتراماً وتعظيماً له"^(١).

"إذا لم يستيقظ الطالب من النوم قبل طلوع الشمس فعليه أن يصوم يومه ويسبح للشمس، وإذا غابت بدون علمه فيصوم اليوم الثاني، لأنه يلحق به ذنب كبير عند طلوع الشمس وغروبها في حالة النوم والغفلة (لأن الواجب عليه أن يصلي لها)"^(٢).

"يجب على الطالب أن يقضى ستة وثلاثين عاماً في خدمة شيخه حتى يتقن تعاليم الفيدات، فإن لم يستطع فثمانية عشر عاماً، أو تسع سنوات على الأقل، ثم يدخل في الدور الثاني (الحياة العائلية)"^(٣).
يقول "منو" بعد سرد أحكام طالب العلم في الدور الأول في نهاية الباب الثاني:

"الذي يلتزم بهذه الأحكام والآداب في دور "البرهما جاريا" تكون له الجنة، ولا يرجع إلى هذه الدنيا مرة أخرى"^(٤).

إلى هنا انتهت الأحكام المذكورة في شريعة "منو".
وفي إحدى كتب أبانشاد: دور حياة التربية والتعليم على ثلاثة أقسام.

(١) منو، الباب الثاني: ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) منو، الباب الثاني: ٢٢٠.

(٣) منو، الباب الثالث: ١-٢.

(٤) منو، الباب الثاني: ٢٤٩.

قسم ينتهي إلى أربع وعشرين سنة ويسمى "كنشتا برهما جاريا".
وقسم ينتهي إلى أربع وأربعين سنة ويسمى "مادهيام برهما جاريا".

وقسم ينتهي إلى ثمان وأربعين سنة ويسمى "أتام برهما جاريا"^(١).
ويقول ديانند:

"العمر المناسب للزواج بعد أربعين سنة؛ لأنه تكمل القوى الكامنة في الجسم، وتكون الأعضاء على أكمل الوجود، وعلى طالب العلم أن يقضى هذه المدة في طلب العلم، ويعيش حياة البرهما جاريا"^(٢).
ويجيب ديانند على سؤال: هل الطالب والطالبة في حياة البرهما جاريا سواء؟ يقول: لا بل خمس وعشرون سنة للطالب تكون بمقابل ست عشرة سنة للطالبة، وثلاثون سنة للطالب تكون بمقابل سبع عشرة سنة للطالبة، وست وثلاثون سنة للطالب تكون بمقابل ثمان عشرة سنة للطالبة، وأربعون سنة للطالب تكون بمقابل عشرين سنة للطالبة، وأربع وأربعون سنة للطالب تكون بمقابل اثنتين وعشرين سنة للطالبة، وثمان وأربعون سنة للطالب تكون بمقابل أربع وعشرين سنة للطالبة، ثم تنهي حياة البرهما جاريا"^(٣).

(١) شانودجيا أبانشاد ١٦/٣.

(٢) ستيارتها بركاش، الباب الثالث ص ٧٠.

(٣) ستيارتها بركاش، الباب الثالث ص ٧٠.

والزعيم الهندي غاندي كان يفضل حياة البرهما جاريا إلى الأبد، وإن تزوج فعليهما أن يعيشا كالأخ والأخت، وبدون ممارسة الحياة الزوجية.

الدور الثاني: كِرْهَسْتَا آشْرَمَ، (الحياة العائلية):

الهندوسية في هيئتها الاجتماعية تميل إلى الرهبانية أكثر من ميلها إلى الحياة العائلية. لأن الرهبان الهندوس دائماً يذمون الحياة المادية ويرغبون أتباعهم في ترك العلائق الدنيوية، وقد شعر علماء الهندوس بخطورة الرهبانية على مستقبل الديانة الهندوسية فبدأوا يدافعون عن الحياة العائلية وأول من قام بتفضيل هذا الدور على الأدوار الأخرى هو "منو"، يقول في كتابه "منو اسمرتي".

"دور "كرهستا آشرم" أفضل من جميع الأدوار"^(١).

ويقول ديانند:

"دور الحياة العائلية تهَيء للرهبان والنسك الصداقات، ولولا الحياة العائلية لما استمر النسل على وجه الأرض، فمن يذم هذا الدور فهو مذموم"^(٢).

ومن واجبات الهندوسي في هذا الدور أن يتزوج، ويشغل في كسب العيش لنفسه ولأولاده.

(١) منو، الباب الثالث: ٧٨.

(٢) ستيارتها بركاش، الباب الرابع ص ١٥٩.

الدور الثالث: بَانَ بَرَسَتْ أَشْرَمَ. (دور التزينة الجسدية والروحية):

يقول منو:

"إذا بلغ الإنسان من العمر عتياً، وأبيض رأسه، وتغضن وجهه، وولد أولاد لأولاده يحب عليه أن يترك الحياة الدنيوية، ويتوجه إلى الغابة ويصحب معه زوجته إذا رغبت في ذلك، وإلا يتركها عند أولادها، ويعيش على الثمار والغلات التي تُنبِتُها الأرض، ويلبس جلود الغزال، ويستحم كل يوم، ويربي شعر رأسه، ويُوفر لحيته، وشواربه، ولا يقلم أظفاره"^(١).

"ولا يبالي بالراحة الجسدية، ويعيش حياة برمجارية، يعني لا يقترب من زوجته وإن كانت معه، وينام على الأرض، ويتخذ من أصول الشجرة بيتاً ويستظل بظلها"^(٢).

كما يعيش على الخضروات والزهور والثمار التي تنبتُها الأرض وتثمرها الأشجار، ويتجنب أكل اللحم وشرب الخمر"^(٣).

"ويحرم عليه أكل الغلات التي زرعت في الحقول، وإن كان جائعاً"^(٤).

(١) منو، الباب السادس: ٦، ٢.

(٢) منو، الباب السادس: ٢٦، ٨.

(٣) منو، الباب السادس: ١٣.

(٤) منو، الباب السادس: ١٦.

"يأكل يوما ويصوم يوماً، أو يأكل يوما ويصوم يومين، أو يأكل يوماً ويصوم ثلاثة أيام"^(١).

"يكون مستلقياً على الأرض، أو يقف طول اليوم على مقدم رجله"^(٢).

"يتحمل شدة الحر، فيجلس تحت الشمس المحرقة، ويعيش أيام المطر تحت السماء، ويرتدي اللباس المبلل بالماء في الشتاء هكذا يقهر جسمه ويعذبه"^(٣).

يقول:

"هكذا يقضي دوره الثالث الذي يبدأ من خمسين سنة من عمره ويستمر إلى خمس وسبعين سنة ثم يختار الدور الرابع".

الدور الرابع: سَنَاسَ آشَرَمَ - (الحياة الرهبانية والمعلمية):

يدخل هذا الإنسان الذي مر بالمراحل السابقة في حياة جديدة وهي الحياة الرهبانية والمعلمية، ويظهر أمام الناس كالشيخ الكامل المطاع، مرفوع التكليف، ويصير عقلاً بلا شهوة، وتحل ناسوتيته في لاهوتيته فهو معبود يعبد كما يعبد الله، والصوفية يعبرون عن هذا المنزل بقولهم:

(١) منو، الباب السادس: ١٩.

(٢) منو، الباب السادس: ٢٢.

(٣) منو، الباب السادس: ٢٢.

فمن الله فاسمعوا * وإلى الله فارجعوا

ومن هنا أخذ الصوفية قولهم: بتعظيم الشيخ والانقياد له، والسمع والطاعة ولو كان أمره مخالفا لأوامر الشرع.
يقول منو:

"وفي هذا الدور يخلق رأسه ولحيته وشواربه ويُقَلَّم أظافره ويحمل معه الكشكول"^(١).

"وعليه أن يتسول في اليوم مرة واحدة فقط"^(٢).
يقول ديانند:

"يقطع حبه من المخلوقين والأموال والأولاد، ويختار حياة المتسولين، ويستغرق في معرفة الأسرار، ويمضي وقته في المراقبة والغيوبة حتى يحصل له "النرفان" أي النجاة من تكرار المولد"^(٣).
وهو الفناء الكامل عند الصوفية.

ويخصص ديانند الحياة الرهبانية الكاملة لطائفة البراهمة فقط إذ أنهم أفضل الخلق على الإطلاق، وأفضل الأعمال البشرية هو اختيار الحياة الرهبانية فوجب أن تكون مقصورة على طائفة البراهمة"^(٤).

(١) منو، الباب السادس: ٥١.

(٢) منو، الباب السادس: ٥٥.

(٣) ستيارتها بركاش الباب الخامس ص ١٨٥.

(٤) ستيارتها بركاش الباب الخامس ص ١٩١.

أحكام الأسرة

النكاح:

كان النكاح في المجتمع الآري يتم بثلاثة طرق:

الطريق الأول: أن يبحث الأب عن زوج لابنته^(١).

الطريق الثاني: الزواج بالغصب كأن يغتصب صاحب السلطة بنت أحد ليتزوجها على رغم رضا والدها^(٢).

الطريق الثالث: أن يقدم أحد ابنته هدية للعالم.

وكان حفل النكاح يعقد في بيت العروس حيث يحضر الزوج مع أصدقائه وأقاربه، فكانت تشعل النيران في مكان طاهر من البيت ويصب فيها السمن الخالص من البقرة، ويربط ذيل كل من العروسين بالآخر، وهما يطوفان حول النار عدة مرات، ورجل عالم من طائفة البراهمة يقوم بقراءة بعض فقرات من الفيدا، وهكذا تنتهي مراسيم النكاح^(٣).

تعدد الزوجات:

الهندوسية تجوز اختيار أكثر من زوجة، وكان أبطال الهندوس

(١) ريج فيدا ١٥/٨٥/١٠.

(٢) ريج فيدا ٧/٣٩/١٠، و ١٩/١١٢/١.

(٣) ريج فيدا ٥٣٤/٨/١٠، و ٨/١٨/١٠.

يبالغون في عدد الزوجات فالبطل "أرجنا" اتخذ عدة زوجات منها:
"درويتي" و"سوبهادرا" و"جتانغا" كما أن البطل الهندوسي الآخر وهو
"كرشنا" يقولون: كان له سبعة عشر ألف زوجة، إلا أن تعاليم الفيدا
تحث على الاكتفاء بزوجة واحدة^(١)، ولذا نرى أن الهندوس يختارون
أنواعاً من الحيل لأجل التعدد.

نكاح الأرمال:

لا نجد في الفيدا ذكر نكاح الأرمال بل إن تعاليم الفيدا تحث
الأرمال على اختيار الموت مع الزوج المتوفى، فكانت المرأة الهندوسية
تجلس مع زوجها المتوفى على النار وتحترق معه.
ويعتبر هذا من أعمال البر والفضيلة للمرأة الهندوسية. ففي الكتب
القديمة جلست "سلوجنا" مع زوجها المتوفى "ميدناتها"، و"ماري" مع
زوجها "باندو" وفي كتاب "مها بهارت" أن عدداً من زوجات
"كرشنا" أحرقن أنفسهن معه.

وهذه العادة كانت سائدة في أنحاء الهند ذكرها مؤرخو اليونان في
كتبهم العتيقة قبل الميلاد.

وأما الآن فإن القوانين الهندية تمنع من هذه العادة البشعة،

(١) ريج فيدا ١٠/٨، و ١٠/٣٣/٢.

وفي رواية أخرى: يجوز للبرهمي أربع زوجات، وللکشري ثلاث زوجات،
وللويش زوجتان، وللشودر زوجة واحدة.

ففي عام ١٨١١م توفى أخو "راجا رام مُوهان" أحد مفكري الهند، ومؤسس "المجتمع البرهمي".

وحرقت زوجته نفسها معه فتأثر "راجارام موهان" بهذه الحادثة المؤلمة كثيراً، وبدأ يطالب الحكومة البريطانية بسنّ قانون يمنع "سُتِي برتها" (أي حرق المرأة نفسها مع زوجها المتوفى عنها) واستجابت الحكومة، فسُنّت قانونا في عام ١٨٢٩م في أيام الحاكم البريطاني "لارد وليم وينك" يمنع من هذه العادة.

ونتيجة لذلك فقد كثرت الأرمال في الهند وخاصة في السن المبكرة، ففي إحدى الإحصائيات في القرن الماضي توجد من الهندوسيات ١٣,٧٧٨ من الأرمال، وسِنَّهن أقل من خمس سنوات، و ٦٤,٤٠٤ من الأرمال وسِنَّهن أقل من عشر سنوات، وقس على ذلك الأرمال اللاتي بلغن أكثر من هذه السن.

والأرملة التي تبقى على قيد الحياة تعيش حياة قاسية. يقول منو: يجب على الأرملة أن تعيش على الخضروات وتضعف جسمها ولا تفكر في زوج آخر^(١).

حتى البنت التي مات عنها زوجها قبل الدخول بها يحرم عليها أن تتزوج برجل آخر، وخاصة إذا كانت من طائفة البراهمة والكشترية والويش. وأما الرجل فيجوز له أن يتزوج بامرأة أخرى إذا ماتت

(١) منو، الباب الخامس: ١٥٧.

زوجته الأولى^(١).

إلا أن "ديانند" ينكر ذلك ولا يجوز للرجل النكاح مرة أخرى^(٢).

تحريم القرابة في النكاح:

يقول منو: يتزوج من المرأة التي لا تتصل قرابتها بالزوج من جهة الأب أو الأم إلى سبعة أجيال ماضية^(٣).

الزواج في السن المبكرة:

"البنت التي لم يزوجها أبوها أو أخوها الأكبر للسنة العاشرة من عمرها وهي سن البلوغ في الهند كلهم يدخلون النار"^(٤).

وأما "منو" فيشترط مضي ثلاث سنوات بعد البلوغ للزواج^(٥).

المتعة:

يسمح ديانند للمتعة للأرامل وغيرها، ويحرم الزواج الثاني ويسمى "نيوج".
يقول:

"يجوز للمرأة المتوفي عنها زوجها أن تتمتع برجل أجنبي لكي تحمل"

(١) منو، الباب الخامس: ١٦٨.

(٢) ستيارتها بركاش، الباب الرابع ص ١٦٧.

(٣) منو، الباب الثالث: ٥.

(٤) براشري، قسم لاکهو ٧/٦.

(٥) منو، الباب التاسع: ٩٠.

مرتين لنفسها، وأربع مرات لأربعة رجال وكذلك يجوز للرجل الذي ماتت زوجته أن يتمتع بالمرأة المتزوجة لتلد له مرتين، وأربع مرات لأربع نساء"، ويستدل على ذلك بأبيات من ريج فيدا^(١).

"أيها "الإنذر" عليك أن تجماع هؤلاء النسوة المتزوجات، والأرامل لتمنح لهن الأولاد الأقوياء، فللمرأة المتزوجة عشرة أولاد، وكذلك أيتها المرأة المتزوجة عليك أن تباشري هؤلاء الرجال لتلدي لهم عشرة أولاد"^(٢).

الحجاب:

المرأة الهندوسية لم تكن تتحجب بحجاب معروف ولها أن تختلط بالرجال في حالات منها: حفلات الزواج، وتقديم القرابين للآلهة، كما يجوز لها أن ترقص أمام الصنم للحصول على رضائه.

الاعتزال في حالة الحيض:

يقول منو:

"يجب على المرء أن يحذر من المرأة في حال الحيض فلا ينام معها، ولا يجماعها، فإن من فعل ذلك يُتَلَّى بالضعف في الجسم والباءة والنظر، كما ينقص من عمره"^(٣).

(١) ١٠/٨٥/٤٥.

(٢) ستيارتها برকাশ الباب الرابع ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) منو، الباب الرابع: ٤٠-٤١.

الفرق الهندوسية

في الهندوسية عدة فرق. وأذكر هنا باختصار فرقتين معروفتين في أنحاء الهند وهما فرقة فشنو، وفرقة سيفا.

أما فرقة فشنو: ففشنو هو اسم أحد آلهة الهندوس، جاء اسمه في "الفيدا" وأهل هذه الفرقة يجعلونه عالم الكل، ويصفونه بجميع صفات البرهما (الخالق) ويعتقدون فيه أنه يحفظهم في النوازل.

ومن اختصاص هذه الفرقة أنها ترى أن أفضل الأعمال هي عبادة فشنو. وبعمر الزمن بدأت فرقة فشنو تعبد "كرشنا" إيماناً منها بأن "كرشنا" أفتار فشنو، لأنه يرجع مرة بعد أخرى إلى الأرض بصورة البشر كلما اقتضت الحاجة لنصرة عباده، ويقولون إن فشنو اختار حتى الآن عشرة أفتار أهمها أفتار "راما" و"كرشنا"، هذه الفرقة تقيم عيدين: أحدهما يمثل فيه "راما" ويسمى "دشهر".

والثاني يمثل فيه "كرشنا" ويسمى "كرشنا جنماستمي".

ولهذه الفرقة معابد كثيرة في أنحاء الهند يوضع فيها تمثال فشنو للعبادة.

ومن أهم تعليمات فشنو:

١- مشيئة الله غالبية على كل شيء.

٢- تحصل النجاة حتى في "كرهستا آشرم" يعني في الدور الثاني من العمر بدون الدخول في الدور الثالث أو الرابع.

٣- من ملك نفسه ملك غيره.

٤- روح واحدة تنتقل في جميع المخلوقات.

وأما فرقة سيفا:

فهذه الفرقة كانت معروفة في السند، ولها ذكر في "ريج فيدا" وهو "رودر" الذي اختار في النهاية اسم "سيفا" ومن أهم وظائفه: الإعدام والتدمير، وله قوة هائلة حتى لقب بـ "مهاديو" (الإله الأعظم) لأنه انتصر على الآلهة الأخرى بقوته، وعلى النساك والزهاد بعلمه. ومن أهم معتقدات هذه الفرقة أنها تؤمن بأن "سيفا" ليس له وجود ولا عدم، وهو محيط بكل شيء.

ومن أعمال هذه الفرقة: أنها تفضل الجوع على الشبع، وإن احتاجت إلى الأكل تأكل في الجماجم، وتستأنس بالوحشة القاتلة، كما تحب البقاء ساعات في محلات تحريق الجثث.

انتشرت هذه الفرقة في الهند أكثر من غيرها. وتوجد لها معابد خاصة في طول الهند يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل المسيح.

لقد قام السيّاح الصينيّ "هيون سيانج" بزيارة الهند في القرن السادس، ورأى أن عبادة "سيفا" كانت غالبية على عبادة غيره من الآلهة في جميع مناطق الهند، كما نجد في كتب المؤرخين الهندوس في تلك الفترة أنهم يمجّدون "سيفا" ويفضّلون عبادته على غيره إلى أن جاء البيروني فرأى أن عبادة سيفا انتقلت إلى عبادة "شكتي" و"سوريا" و"برهما" و"إندرا" و"أغني" و"كوبيرا".

عبادة الأصنام:

لا يعرف بالتحديد العهد الذي ابتدأت فيه عبادة الأصنام في الهند وقد وجد علماء الآثار مجموعة كبيرة من الأصنام في حفريات "موهان جودور" و"هاروبا" وأكثر هذه الأصنام عارية من اللباس، وفيه إشارة واضحة إلى أن النجاة لا تحصل مادام الإنسان يعيش حياة دنيوية، وراغبا في الملذات والملابس.

كما أنه بمقابل ذلك وجدت أيضا أصنام مزينة بأنواع من الألوان الجذابة، ومحلة بأنواع من الحلي والملابس، ولاشك أن هذه الأصنام من أعمال فرقة "فشنو" التي اهتمت بالمظاهر الخارجية لجذب الناس إلى جماعتها.

وكذلك كانت عبادة الأصنام معروفة أيضا بشكل الذكر والفرج "لنج" و"يوني" فإن "سيفا" وزوجته "بارواتي" رمز للذكر والفرج، وخلق العالم بالتقائهما.

فكان من الطبيعي أن يعبد أهل الهند الذكر والفرج اللذين هما مصدر الخلق واستمرار الحياة على وجه الأرض.

ففي حفريات "موهان جودور" وجدت مجموعة من الأحجار بشكل "لنج" و"يوني".

يقول المستر "وارتها" (VARTH): من زمن بعيد كان الهندوس يبحثون عن آلهتهم الطبيعية، فوقعت أيديهم على أحجار "لنج"،

و"يوني" وهؤلاء الهندوس الذين يعبدون الله بصورة الرجل والثور لم يستبعد منهم أن يعبدوا الذكر والفرج فإن عبادتهما أقرب إلى مزاجهما من عبادة القوى الطبيعية الأخرى^(١).

ولم يغفل الآريون ذكر عبادة "لنج" والتدبير بها في كتابهم المقدس الفيدا.

ففي ريج فيدا:

"هو" الإندرا" الذي يخوض الحرب بحسن تدبيره، ويغنم الأموال من "شترى ديوي" (عدوه) ولو كانت هذه الأموال محفوظة بين مئات الأبواب، ويُعيدُ الأرواح الخبيثة التي تعبد "لنج"^(٢).

كما وجد ذكر "لنج" في "رامايمان" فإن ملك السيلان "رافان" كان يحمل معه دائماً "لنج" من الذهب.

ويصف "سرجان مارشال" هذه المجموعة من الأحجار التي وجدت بشكل "لنج" وصفا دقيقا بالمقاس والمواد التي نحتت منها^(٣).

ومن الأصنام التي اشتهرت عبادتها في الهند "ما ترى ديوي" (MATRIDEVI) أي أرض الوطن.

وقد وجدت بعض أصنام "ما ترى ديوي" في منطقة بلوجستان،

RELLGION OF INDIA, P.261 (١)

(٢) ريج فيدا ٩/٥/٢١.

MOMAN JODOR IN INDUS CIVILISATION. (٣)

ويعبد الفيذا عبادتها باسم الأرض، لأن الأرض هي أول مهد تقوم برعاية الطفل ثم يتخذ الإنسان مستقرا له طيلة حياته، فكان من الطبيعي أن يتخذ أهل الهند صنما باسم "ما ترى ديوي" كعادتهم.

كما وجدت في حفريات "موهان جودور" مجموعة من أصنام "سيفا" وله ثلاثة وجوه: واضع يديه على ركبتيه، وجالس في هيئة "اليوجا" على سرير من الخشب، مستغرقا في التفكير، وحوله تماثيل من الحيوانات، ونقش على بعض أصنام "سيفا" صورة الثعبان. وكأنه عقد في عنقه، فجعله الهندوس إله الحيوان.

يجزم علماء الأديان بأن الآريين ما كانوا يعرفون عبادة الأصنام، فلما اختلطوا بأهل الهند بدأوا ينحتون لآلهتهم تمثالا محاكاة لأهل الهند، وبالتقاء الحضارتين، الحضارة الهندية القديمة، والحضارة الآرية ظهر مذهب جديد عرف بالهندوسية، فنجد أحيانا غلبة آلهة الآريين وهم "إندرا" و"ورون" و"اغنى" على آلهة أهل الهند وهم "فشنو" و"سيفا". وفي حين آخر يغلب آلهة أهل الهند على آلهة الآريين إلى أن جاء "بوذا" و"مهاير سوامي" قبل ميلاد المسيح بخمسة قرون، فأثرا على الهندوسية تأثيرا قويا فصارت الهندوسية مزيجا من اعتقادات الآريين، وخرافات أهل الهند، وتعاليم بوذا، وطقوس مهايرا.

عبادة الأبقار:

حظيت البقرة في الديانة الهندوسية بأسمى مكانة، وأرفع درجة، وأعلى منزلة، لأنها كانت من أغلى ثروات الآريين، وكانوا في حاجة إلى العطف عليها وتربيتها؛ لأنها تدر لهم فوائد كثيرة فوضعوا في كتابهم المقدس آياتا لتمجيدها ففي "ريجفيدا":

"إن البقرة أم الأبطال الذين يقهرون الأعداء، وهي ابنة الإله، وأخت أبناء آدت (اسم الإله) ومركز للحياة، فإني أطلب من الرجال الغيورين عدم ذبحها"^(١).

"إن الذي يضرب البقرة برجله يستحق العقاب"^(٢).

"نحن جعلنا البقرة مصدرا للعلم، والأبقار تقوم بخدمة "الإندرا"^(٣).

وتوجد آيات أخرى أيضا في الفيدات في تمجيدها.

ولذا فإن الهندوس يعبدونها ويقدسون روثها.

وكان أحد أبطالهم وهو "كرشنا" شغوبا بها فكان يرعاها ولقب

بـ"كوبال" أي -مربي البقرة-.

(١) ريجفيدا ٨/١٠١/١٥.

(٢) آتورفيدا ١٣/٩/٤٦.

(٣) ريجفيدا ١/١٧٣/١.

وأحب الصدقات إلى الهندوس صدقة البقرة، بل إن الصدقة بالبقرة تعتبر من أقدس الصدقات في المناسبات الدينية وعند الزواج^(١). وقد كان غاندي من أكبر الدعاة إلى عبادة البقرة وتقديسها ومنعها من الذبح من قبل المسلمين، وكان يثير حماسة الهندوس بقوله: الديانة الهندوسية ستبقى على وجه الأرض مادام الهندوس يحافظون على البقرة.

ولكن لو قيل لغاندي هل ترضى أن تجعل من جلود البقرة فراشا ومن عظامها سلاحاً، كما كان الآريون يفعلون؟^(٢). وما أظن أنه يرضى بهذا، لأنه جعل البقرة أفضل من أمه الحقيقية من عدة وجوه.

(١) ريج فيدا ٦/٧٥/١١، ١/١٢١/٩، ٦/٤٧/٢٦.

(٢) ريج فيدا ٦/٧٥/١١، ١/١٢١/٩، ٦/٤٧/٢٦.

العبادات في الهندوسية

الصلاة: بمعنى العبادة وهي عندهم على نوعين:

الأول: يسمى "ياك" أو "يجيا" وهو إشعال النار في مكان معين، وقراءة أناشيد خاصة من "الفيدات" و"أبانشاذ" لاستجلاب حب الآلهة، وطلب الكفارة للذنوب و"يجيا" له أشكال ومناسبات كثيرة منها: ترسيخ قوائم السلطة. ومنها: تقديم الشكر والامثال للآلهة، وقد أجريت فيه تعديلات كثيرة، ويجب أن يتم "يجيا" من طريق رجل برهمي، فإنه الواسطة بين الخلق والخالق.

هكذا اتخذ "يجيا" مركزاً هاماً لدى الأثرياء والملوك. وقد بقي البراهمة زمناً طويلاً في سحر "يجيا" وألفوا فيه كتباً خاصة في كلفيته^(١).

الثاني: يسمى "بوجا" وهو التسييح والتمجيد للآلهة، وتقديم القرابين لهم من زهور وفواكه وماء مخلوط من زعفران. ولكل إله من الآلهة طقوس وطريقة خاصة لتقديم القرابين من الزهور والماء وغيرهما، فالبعض يقدم له الماء من كفة اليد، والبعض الآخر يقدم له الماء من ودعة كبيرة^(٢). وذكر هذه التفاصيل قد يطول.

(١) ذكر الشهرستاني بعض الكيفيات في الملل والنحل ٢/٢٦١.

(٢) القاموس الهندوسي ص ٤١٢.

الصوم:

لقد أدرك علماء الهندوس أن الصوم هو أفضل وسيلة لتعديل النفس وقهرها، وكسر حدة الشهوة الحيوانية، وإضعاف القوى الجسمانية. فأوجبوا الصيام على رجال الدين والنسك والزهاد، وللصوم طرق كثيرة، منها: ترك الطعام والشراب ليلاً ونهاراً بدون إفطار لأيام غير محدودة، ومنها: اجتناب الغلات دون الماء واللبن بقدر الحاجة، ومنها: أن يأكلوا أياماً في الظهيرة فقط، ومنها: أن يأكلوا بعد غروب الشمس مرة واحدة فقط.

وقد توجد جماعات من الزهاد والنسك في الغابات وعلى جبال همالايا وهم يصومون ولا يفطرون إلا بنبات خاص يعصر في حلوقهم فيبقون على قيد الحياة شبه الميت، ولا يزالون على هذه الحالة حتى يموتوا^(١).

(١) وهنا يؤدي "اليوجا" دوره المعهود في الفكر الهندوسي فاليوغي بممارسته الرياضة النفسية والذهنية يتغلب على الأسباب المادية ويدهش المشاهدين فترى يعيش اليوغي عازياً فوق النهر المتجمد، وينام على شظايا الزجاج دون أن تظهر عليه أية إصابة، ويجب أن يكون الإنسان على حذر، فإن "اليوجا" نوع من العقائد الدينية، ووسيلة من وسائل الترقى الروحي عند الهندوس، وهي أخذت من تعليمات الفيدات وإن كانت هذه الكلمة لم ترد في الفيدات وأضيف إليه تجارب الرهبان والنسك فاستكملت جوانبه وبدأ يؤتى ثماره المدهشة.

إلا أن مفهومه كان واضحاً في عهود الفيدات، لأن هذه التمارين اليوجية يقوم عليها رجال الدين لكشف معاني وأسرار الفيدات. فالفكرة اليوجية هي فكرة هندوسية

برهمية خالصة ليتمكنوا من السيطرة على البشرية وتعليم اليوجا يساعدهم على ذلك. وقد قرأنا في الصحف العالمية ما أعلن به "جندرا سوامي" أن كثيراً من رؤساء الدول وكبار رجال أعمال من تلاميذه، وهم عنده كالعبيد، وهو يتصرف فيهم كيف يشاء، وكل هذا بسبب اليوجا.

لقد اشتهر في العصر الحاضر رجلان يعلمان اليوجا أحدهما: آجاريا راجنيش، والثاني ماهيش يوجي.

ولد الأول وهو راجنيش في عام ١٩٣١م ومات قبل أعوام، والرجل لا يؤمن بالله، ولا بالكتب المنزلة، ولا بالغيبات مثل وجود الجنة والنار، ويرى أن في الإنسان قوة ذاتية إذا استغلها فتأتي بالعجائب، ودعوته تقتصر على تعليم "اليوجا" والمراقبة النفسية على طريقة الصوفية. وأنه يثني على بابا فريد الصوفي، وفي عام ١٩٥٣م ادعى أنه حصل على المعرفة التامة وهي العلاقة الموجودة بين الروح والجسم، وأنه يستطيع الآن أن يتحد بالكائنات الواسعة.

وفي عام ١٩٧٤م أسس في مدينة "بونا" (PUNA) مركزاً باسم "راجنيش آشرم" وكان يلقي فيه دروساً يومياً عن اليوجا. ثم سافر عام ١٩٨٦م إلى الولايات المتحدة وأسس هناك مراكز كثيرة لتعليم اليوجا.

وقد صدر له مئات من الكتب بالهندية والإنجليزية من محاضراته اليومية في مختلف الموضوعات أهمها اليوجا والمراقبة النفسية، ولم يصدق أتباعه حين مات بل اعتقدوا فيه أنه استتر عن أعين الناس، وأنه اتحد بالكائنات التي لا تفنى كما هي تعليمات "الفيدانت".

والرجل الثاني: وهو ماهيش يوجي الذي سافر إلى الولايات المتحدة في الأربعينات في حدود ١٩٣٥م على ما أذكر، وكان يظهر أمام الناس زاهداً وراهباً، ويطمع في الوقت نفسه في جمع الأموال. فبدأ يعلم الناس طريقة

وأما عامة الناس فعندهم أيام الصوم محدودة مثل أن يعين الشخص لنفسه أن يصوم يوم كذا واليوم العاشر والحادي عشر من كل شهر قمري، وأيام مولد "كرشنا" و"راما" و"برهلا" ووقت كسوف الشمس والقمر، ويوم النصر على أعدائهم مثل يوم نصر "راما" على "راون" وليس شيئاً واجباً عليهم، وإنما هو من التطوع.

الحج:

هو زيارة المواضع المقدسة والأشخاص المعظمين ويسمى "ياترا" ومعناه اللغوي "عبور النهر".

فالقصد من زيارة الأشخاص المعظمين هو الاستماع لمواعظهم، والاستمتاع بصحبتهم.

والمقصود من زيادة الأماكن المقدسة عندهم عبادة الأصنام في هذه الأماكن والغالب هي أربعة أماكن:

==

"اليوجا" ويدعوهم إلى حركته المهاريشية. وادعى أنه بعثه الله لإنقاذهم من الهلاك والضلال، ولنحهم حياة سرمدية لا يطرأ عليها الفناء. فيعيش الإنسان على مدى الدهور في النعيم المستمر. ويكون مسيره في النهاية إلى "الترقان" وفي خلال أقل من أربعين سنة اجتمع حوله آلاف الأمريكيين وتحمسوا لدعوته. وفي الآونة الأخيرة انكشفت الأسرار المحيطة بالرجل. فوجد أنه لص كبير. وطرد من أمريكا. واستولت الحكومة الأمريكية على ثرواته الهائلة. وسافر إلى الهند، ومنها إلى البلاد الأخرى، واختفى خوفاً من الفضيحة.

١- دواركا (DWARKA)

٢- جكنات پوري (JAGNATH PURI)

٣- بادركا شرم (BADERKASRM)

٤- راميشور (RAMESHWAR)

وكذا يحج الهندوس إلى أحد الأنهار المطهرة فيغتسلون فيه مثل نهري "كنكا" و"جامنا" في مدينتي "واراناسي" و"الله آباد".

ومن آداب الحج:

١- يجب على الزائر أن يترك الأهل والأقارب، ولا يتصل بهم فترة حجه أبدا ولا يفكر فيهم.

٢- وعند الميقات وهو مسافة كيلو متر من بيته يتخلى عن لباسه، فيغتسل ويختار لباس الإحرام، وهو قميص طويل وإزار بلون أصفر، ويأخذ عصا من القصب الهندي، ويعلق عليها نوعا خاصا من الآنية للماء، ويخرج مرتلا الورد الخاص وهو:

هرى كرشن هرى رام... ..

ومن الأفضل أن يمشي على قدميه

وهو واجب على البرهمي، وتطوع على غيره.

أهم العقائد الهندوسية

لقد سبق القول بأن الهندوسية لا تؤمن بعقيدة رئيسة، ومع ذلك فهناك أمور عرفت بين الهنادك جميعاً، وإن كان فيها شيء من التناقض والتضاد، وهذا يظهر قريباً، ولكنها صارت شبه الأمر المجمع عليه فيما بينهم فما من هندوسي من أية فرقة إلا وهو يؤمن بهذه العقائد، أو بأمثالها ولا مانع أن نذكر أهمها:

١- خلق الكائنات في الفكر الهندوسي.

٢- عقيدة الأفئدة.

٣- عقيدة التناسخ.

٤- عقيدة كارما.

٥- عقيدة النرفانا.

١- خلق الكائنات في الفكر الهندوسي:

يقول "منو" في شريعته في الباب الأول وهو خاص بخلق الكائنات. "كانت الدنيا غامضة، لا توجد لها علاقة، ولا وسيلة للوصول إليها، ثم ظهر "برميشور" (الإله الأكبر) بمادة التكوين، وأراد أن يخلق خلقاً من ذاته فخلق الماء وألقى فيه النطفة، وأصبحت هذه النطفة بيضة، فخرج منها "برهما" وكسر البيضة نصفين، فخلق من أحدهما الجنة، ومن الثاني: الأرض والسماء وما بينهما، والجهات الثمانية، والبحور

المتوجة، ثم أخرج من فمه طائفة "البراهمة" ومن عضده طائفة "الكشثري" ومن فخذيه طائفة "الويشيا"، ومن رجله طائفة "الشودرا" فما دام برهما مستيقظا فالدنيا باقية، فإذا أخذته النوم تقع القيامة.

يقول "منو": هكذا خلق الله الكائنات وخلقني، وهو يعيد هذا العمل بعد حدوث قيامة مرة بعد أخرى، فإذا نام وقعت القيامة، وإذا استيقظ حدث الخلق، هذه هي سنة الله في الكون^(١).

ويؤخذ على هذه الأسطورة ما يأتي:

١- "برهما" مخلوق خلقه "برميشور" من مادة التكوين مع أنه روح الله الأزلية في عقيدة الهنادك، وإليها ترجع الأرواح السفلية.

٢- هذا المخلوق انقلب فصار خالقاً، فخلق الجنة، والأرض والسماء وما بينهما.

٣- ثم إن هذا الخالق المخلوق خلق الطبقات الأربع، ولاندري من خلق الباقي من الأجناس البشرية.

٤- إن برهما هذا هو الذي يدبر الكائنات، فلا ندري ما هو وظيفة "برميشور" الذي خلق "برهما".

٥- هذه الكائنات يستمر وجودها من أول خلقها إلى حدوث القيامة، ثم يعيد خلقها مرة أخرى. ولاندري منتهائها. اسمعوا ماذا يقول

(١) منو إسميرتي، الباب الأول: ٥١-٥٢.

"منو" في هذا الموضوع.

يقول "منو": نحن في الدور السابع من الخلق، وقد مضى ستة "منو" من قبلنا، كلهم خلقوا أدوارهم، وقاموا بتدبير الكائنات في زمانهم. ثم قسم الأيام والليالي، فجعل "كاشتا" من ثمانية عشر "قيش" وجعل "كلا" من ثمانين "كاشتا"، وجعل "ماهورت" من ثلاثين "كلا"، وجعل "أهوراتر" من ثلاثين "ماهورت"، وجعل الشمس حدا فاصلا بين الليل والنهار، وجعل الليل للنوم، والنهار للعمل^(١).

ثم يقول "منو" اسمعوا الآن: أيام وليالي "برهما" أربعة آلاف "أهوراتر" تساوي "ستيايج" وأربعة آلاف "ستيايج" تساوي "سندهيياج" وأربعة آلاف "سندهيياج" تساوي "سندهيانش ييج"^(٢).

يعني: $١٨ \times ٣٠ \times ٣٠ \times ٣٠ \times ٤٠٠٠ \times ٤٠٠٠ \times ٤٠٠٠$

هذه الأيام والليالي لدور واحد من أدوار الخلق، وهناك أرقام أخرى لذكر الأيام والليالي في شريعة "منو" إلا أن الأرقام الرياضية تعجز عن ضبطها.

وإليك رواية أخرى في خلق الكائنات.

"إن الروح الكوني تشكل بالشكل الإنساني، ثم نظر حوله، فلم

(١) الباب الأول: ٦١-٦٥.

(٢) الباب الأول: ٧٦-٨٦.

يجد هناك شيئاً غير نفسه، فصرخ بملء فيه "هأنذا" فوجدت من هذه الساعة كلمة "أنا" ولذلك فأول ما يقول الإنسان إلى الآن عند كلامه عن نفسه "أنا" وشعر هذا الروح الكوني، أو الإنسان الأول بالخوف من وحدته، ولذلك يخاف الإنسان إلى الآن إذا كان وحيداً، ولكنه سأل نفسه: لماذا أخاف فإنه لا يوجد أحد غيري، وإنما يخاف الإنسان من غيره، ووجد نفسه لا يشعر بالسعادة، ولذلك لا يشعر الإنسان بالسعادة إذا كان وحيداً، فرغب في إيجاد قرين له، فقسم نفسه قسمين: قسم بقى على حاله، وتحول القسم الآخر إلى امرأة، فكانت هذه المرأة زوجته، ومن تلك الساعة تسلسل خلق الإنسان^(١).

وإليك رواية أخرى في بدء الخلق.

إن "فشنو" كما هو معلوم يملك شخصية عظيمة في الدين الهندوسي، وزوجته "لكشمي" (LAKSHAMI) رمز للقوة له، وإنها تسربت فيه كما يتسرب النور في القمر، ولها حيثتان مختلفتان: إحداهما: أنها تمثل الإرادة الوجودية لفشنو.

والثانية: أنها ضلع الوجود الكوني، ويبدأ الخلق منها، لما أفاق "فشنو" من نومه العميق الذي دام مدة غير معلومة، وأيقظ "لكشمي" من نومها، ويتمتع "فشنو" في هذه المرحلة بست صفات ذاتية وهي:

(١) أنقل هذه الرواية من كتاب الدكتور أحمد شلي "مقارنة الأديان" ص ٥٢، لأن

أصل الكتاب لم أعثر عليه وهو: (الأساطير الهندية عن الكون وخلقها ص ٣٤).

العلم، والقدرة، والآفاقية، والحياة، والقوة، والجلال.

ومجموعة هذه الصفات خلقت "فاسوديفا" ومن تضحية فاسوديفا ظهرت ثلاثة أقانيم، وهم "شنكرا" الذي يمثل العلم والآفاقية، و"بروين" الذي يمثل القدرة والقوة، و"نرودها" الذي يمثل الحياة والجلال، وهذه الأقانيم الثلاثة تدير العالم^(١).

والآن أنقل الخلافات التي وقعت بين الكتب الأساسية لدى الهنداك في خلق الكائنات، وهو كاف للدلالة على التناقض والتضاد في مسائل أساسية كهذه في الديانة الهندوسية.

يقول الدكتور "قارا جند" الفيلسوف الهندوسي الشهير في كتابه "تأثير الإسلام على الثقافة الهندية"

(INFLUENCE OF ISLAM ON INDIAN CULTURE)

ما يلي:

"فكرة الفيدا في الخلق" (VEDIC THOUGHT)

إن الأضحية (ذبح الحيوان) آية لصالح العالم، وهي وسيلة لقوة الخالق. فإنه إذا تعب من الخلق، وذهبت قوته، فإن الملائكة تسترد هذه القوة بالأضحية فينزل بها المطر، وتطلع بها الشمس، ويأتي بها الطوفان، لأن هذه هي السبب الوحيد الذي تتم به إرادة الخالق^(٢).

(١) قارن الأقانيم الثلاثة لدى النصارى بالأقانيم الهندوسية.

(٢) ص ٣٠.

ويشرح "فكرة فشنو" (VISHWATHOUGHT) هو الإله الثاني، وهو خالق السموات والأرض وما بينهما، وهو على كل شيء حفيظ، له أعين في جميع الجهات، وله وجه في جميع الجهات، وله أيد وأرجل كثيرة، وهو وحده لا شريك له^(١).

وهو ذات واحدة يسمى "برم برش" (PERAMPURUSH)، له آلاف الرؤوس، وآلاف الأعين، وآلاف الأرجل، وهو محيط بجميع العالم ومنفصل عنه، وكل ما كان ويكون فهو صادر منه، وهو مالك الحياة الأبدية، ولا يعاقب على أي عمل يعمل لأن أعماله كلها خير.

"فكرة الفيدانت" (VEDANTIC THOUGHT) يقول العالم الهندوسي وويكانند^(٢) (WIWEKANAND): (خرج هذا العالم من العدم إلى الوجود بإرادة الخالق، المادة والروح والخالق كل منها أزلي وقديم، لا يجري عليها زمان ولا يأتي عليها حدوث، تدوم الحياة كما يدوم الخالق، وكذلك تدوم الفطرة ولكنها تتغير بتغير الزمن: أما الخالق فهو موجود في كل زمان ومكان، عالم بكل شيء، ليس له صورة

(١) ريج فيدا ١٠/٨١/٢-٤.

(٢) يعد وويكانند من أشهر تلاميذ رام كرشنا. ولد عام ١٨٦٥م، وتوفي عام ١٩٠٤م، اشتهر في أمريكا بمحاضراته عن الهندوسية. وكان يرى أن الدين لا يقوم على العقل والمنطق بل لابد من المشاهدات الروحية والرياضة النفسية. وكان ينكر على عقيدة وحدة الوجود.

حسية، ولن يستطيع أحد أن يصل إلى عليائه، إذا ادعى أحد لنفسه أنه الله فقد كفر به^(١).

"فكرة البران" (PURANIC THOUGHT) يعد "البران" عند الهنادك من الكتب المقدسة، وأسفاره أكثر من أن تحصى، ولكن كلها تنسب إلى "ويدوياس" (WEDWYAS) وقد اختلف أصحاب البران في خلق العالم وجاؤوا بقصص ماحنة بذيقة ودونك بعضا منها.

يقول أصحاب بران "ديوي بهكفت" (DEVI BHAGAWAT) خالق هذا العالم امرأة من "شري بور" (SHRI PUR) اسمها (SHRI) وهي التي خلقت الآلهة الثلاثة المعروفين لديهم وهم: برهما "خالق الحياة" وفشنو "الرزاق" وماهيش "قابض الأرواح" ولما أرادت هذه المرأة أن تخلق العالم وضعت إحدى يديها على الأخرى فخرج منها "برهما" فأمرته أن يتزوجها، فأبى لأنه اعتقد أنه ولدُها، فغضبت المرأة غضبا شديداً فأحرقته، ثم أعادت عملها فخرج منها "فشنو" فأمرته أن يتزوجها فأبى، فأحرقته ثم أعادت العمل فخرج منها (ماهيش) فأمرته أن يتزوجها فامتنع إلا بشرط وهو أن تغير صورتها وتأتي بصورة أخرى ففعلت ثم طلب منها أن تُحيي أخويه فأحيتهما، ثم طلب منها أن تخلق امرأتين ليتزوج كل من أخويه بواحدة منهما ففعلت، فتزوج

الجميع. وهؤلاء هم الآلهة الثلاثة الذين خلّقوا العالمَ وهم الذين يدبرونه^(١).

إن الهنادك ينسبون في كتبهم المقدسة لديهم إلى ربهم صفات وأفعالا يتنزّه البشر أن تنسب إليه - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا -.

٢ - عقيدة "أفتار" (AVATAR):

ومعنى كلمة "أفتار" في اللغة السنسكريتية النزول، وفي الاصطلاح عند الهنادك: نزول الرب إلى الأرض لإصلاح الناس بصورة البشر كما جاء في كتاب "كيتا".

يقول كرشنا: (من أجل إنقاذ الأبرار، وإفناء الأشرار، ومن أجل إعادة إقامة شرعة الدّين أهبط بنفسي دورة بعد أخرى).

ويقول أيضاً: (حيثما يوجد انحراف في الممارسات الدينية ويزداد الإلحاد أهبط بنفسي)^(٢).

ويقول أيضاً: "إذا تزلزل الحق أمام الباطل، وغلب الفساد على الصالحين، نزل "بهكوان" أي الإله إلى الأرض لإحقاق الحق وحفظ الصالحين".

ويعرفه العالم الهندوسي "شري ديال كوبند" بقوله: معنى أفتار

(١) ستيارت بركاش الباب: ١١.

(٢) الكيتا أشلوك ٧.

الظهور في الصورة الظاهرة من العالم المستور.

وأفتار له أربعة مقاصد في البكهفت كيتا:

١- إظهار النساك والرهبان على الفجار.

٢- الفوز في الدنيا بعد إهلاك الدجالين.

٣- رفع ثقل الأرض من المعاصي.

٤- تقديم أسوة حسنة للسائرين.

وأفتار له أربعة أقسام:

١- "بُورَنَ أَفتار" يعنون به النزول الكامل، ومن شرطه أن تكون قوة الرسل غير متناهية تُساوي قوة برهما، مثل أفتار "راما" وأفتار "كرشنا" لأن أصلهما من الإله نزلا بصورة البشر لإعدام وتدمير الطغاة والعصاة.

لقد سبق أن بينت قصة "راما" عند تعريف كتاب "رامايان" وإليكم الآن قصة كرشنا التي ترويها الكتب الهندوسية:

يقولون: قبل آلاف السنين كان يحكم منطقة "مِثرا"^(١) ملك ظالم اسمه "كنسا" (KANSA) وكانت له أخت اسمها "ديوكي" فتزوجها رجل يقال له "فاسوديفا". وقد أخبر المنجمون "كنسا" بأن ابن أخته الثامن يقتله ويحتل ملكه، فسجن "كنسا" أخته وزوجها.

(١) "مِثرا" (MATHURA) وهي إحدى المدن المقدسة لدى الهندوس.

وقد ولد في السجن ستة من أولادها فقتلهم كنسا ونجا السابع بحيلة، فلما ولد الثامن وهو "كرشنا" فكر أبوه في حيلة حرصاً على حياته لأنه هو الذي سينجيه حسب ما أخبره المنجمون، فخرج من السجن ليلاً، ومن معجزة "كرشنا" بقى الباب مفتوحاً ونام الحراس، فذهب به أبوه إلى ما وراء نهر "جهنا" (JAMUNA) في مدينة "كوكل" وكان له هناك صديق اسمه "نندا" وقد ولدت له في تلك الليلة بنت فغير ابنه ببنته، وجاء بها إلى السجن.

وفي الصباح الباكر أخبر "كنسا" بولادة بنت فغضب على المنجمين ولامهم، لأنهم أخبروه بولادة ولد يقتله، وأخذ البنت المولودة ورمى بها على الأرض، فخرج منها صوت يقول: "إن قاتلك حي لا يموت". وبقي "كرشنا" عند "نندا" يلعب بالفتيات ويرعى البقرة ويشرب من ألبانها.

هذا هو "كرشنا" أفتار "برهما" الذي قتل فيما بعد "كنسا" الظالم ونجى أهل الأرض من ظلمه.

٢- "أنشان أفتار" أي الذي يرسل لغرض خاص وهو دون الأول مثل أفتار "نرسنغ" (NARSING) الذي جاء لقتل "هارن كشب" فقط لساعات معدودة.

والأسطورة التي يذكرونها في قصة أفتار "نرسنغ" هي ما يلي:

لقد كان "هَارَن كَشَب" ملكاً على "ديتون"، وولد له طفل اسمه "برَهْلَاد" (PRAHLAD) وهذا الطفل كان عابداً لقشنو، فغضب أبوه "هَارَن كَشَب" الذي كان ينكر الألوهية ويدعيها لنفسه، وأراد أن يقتل ابنه بحيل كثيرة، منها: أنه رماه في البحر، ووضعه تحت أقدام الأفيال، وفي الأخير ألقاه في النار، ولكن الإله "فشنو" حفظه في جميع هذه المحن، حتى خرج سالماً منها. فازداد إيماناً "بقشنو"، وصار يعجده ويشئ عليه في الغداة والعشي ولما عجز أبوه عن إرجاعه عن عقيدته سأله غاضباً هل إلهك فشنو موجود في هذه الأسطوانة؟ فأجاب "برهلاَد" بنعم، فركل هارن كَشَب الأسطوانة برجله، فانشقت شقين وخرج منها "فشنو" بصورة أفتار "نرسنغ" يعني كان جسمه مثل الإنسان ورأسه كالأسد، لأن كلمة "نر" معناها الإنسان، وكلمة "سنغ" معناها الأسد، فأمسك "هارن كَشَب" ووضعه فوق ركبته وشق بطنه بأظافيره حتى مات.

هكذا انتهت قصة هذا الظالم، وفي نهاية القصة طلب "نرسنغ" من "برهلاَد" أن يسأله ما يشاء، فسأله أن ينقيه من الرغائب والشهوات ويغفر لأبيه فأجاب له، ثم تَوَارَى "نرسنغ" عن الأنظار بعد إكمال مهمته.

هذه الأسطورة يعتبرها الهنادك من القصص المثيرة للعواطف البشرية، لأن الابن كان باراً لأبيه. كما أن فيها الصراع بين الخير

والشر الذي هو مدار الفلسفة الهندوسية، وبعد مرور الزمن اتخذ الهنادك هذا الرجل العابد لفشنو إلها كعادتهم في اتخاذ الآلهة من القوى الطبيعية والبشرية فبدأوا يعبدونه من دون الله.

هذه القصة مذكورة في الباب السابع من كتاب "بهكوت كيتا".
٣- "كَلَا أَفْتَار" الذي يكون أدنى من "أَنْشَان أَفْتَار" مثل أَفْتَار "مَنْو كَشِيْب".

وقصة هذا الرجل في شريعة "منو" وغيره أن برهما أراد أن يخلق خلقاً من نفسه على أن يكون همزة وصل بين برهما ومخلوقاته، فأبى هذا الابن إلا أن يشغل نفسه بالعبادة، وهكذا خلق برهما أربعة أبناء رفضوا كلهم أن يكونوا سببا لخلق البشرية، وكان الخامس اسمه "سنك". وهذا الخامس بقي دائماً ابن خمس سنوات، وتستمر حياته إلى الأبد ثم خلق ابنا سادساً اسمه "مَنْو كَشِيْب" ومنه بدأ الخلق.

٤- "أَدْهِيَا كَارِي أَفْتَار" (ADHYAKARI AVATAR)

الذي يعطي قوة كقوة برهما ثم تزول عنه كما كان شأن "ويد وياس" عند تأليفه "الفيدات" و"البران" ثم سلبت منه هذه القوة وقضى بقية حياته كالبشر.

وقد بلغ عدد الأفتارات عند الهنادك أربعة وعشرين. والمشهور منها ما ذكرته.

وقد اتجه بعض المحققين الهنادك المحدثين في مسألة الأفتار اتجاها

آخر أشبه بالرسالة والنبوة بعد ما عرفوا استحالة نزول الرب إلى الأرض بصورة البشر، وبدأ هؤلاء يدرسون "الفيدات" و"البران" والكتب الهندوسية الأخرى بنظرية جديدة.

وإليك مقتطفات من عالم كبير "ستيا برকাশ" (SATYA PARAKASH) الذي كتب عدة مقالات في جريدة "كانتي" الإسلامية الصادرة من دلهي حول عقيدة الرسالة في الكتب الهندوسية.

يقول: لقد جاء في الباب الثاني عشر من "ريج فيدا" ما نصه:

"أكن دوتن وري ما هي"

ترجمته: نحن ننتخب أكني رسولاً.

أكني - اسم الرسول.

دوتن - الرسول.

وري - ننتخب صيغة المتكلم، والجمع للتعظيم.

ولكن يفسر العلماء السابقون هذا النص بأن كلمة "دوتن" معناها

الإله، و"أكني" هو إله النار.

إلا أن هناك نصاً آخر في نفس الفيدا يرد هذا التفسير وهو: "منو

شياسوا كنمن".

ترجمته: إنما أكني بشر.

يمثل هذه النصوص يستدل بها هذا العالم بأن عقيدة الأفتار محرفة

في الهندوسية، والعقيدة الصحيحة هي الرسالة والنبوة كما في الأديان

السماوية.

٣- عقيدة التناسخ أو جولان الروح:

يقال لها بالهندية: "أواكمن" (AWAGAMAN) أو "بنرجنم" (PUNAR JANM) ويطلق بعض الباحثين على هذه العقيدة (تكرار المولد).

والتناسخ: هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى جسم آخر حسب الأعمال، فروح الإنسان تنتقل من جسمه إلى جسم الحيوان والحشرات، وبالعكس فمن تعاليم "البران" أن الإنسان إذا أخطأ هدف حياته وهو العبودية لله، فإن روحه تختار أربعة وسبعين مائة ألف جسم من أجسام المواشي والطيور والحشرات ثم تنتقل إلى جسم الإنسان.

يقول أحد العلماء: سبب التناسخ أو تكرار المولد هو:

أولاً: أن الروح إذا خرجت من الجسم فلا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد.

ثانياً: أنها إذا خرجت من الجسم، وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين، فلا بد من أدائها، فلا مناص إذا من أن تستوفى شهواتها في حياة أخرى، وتذوق الروح ثمر أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة^(١).

(١) ثقافة الهند ووجهاتها الروحية ص ٤٣، نقلاً من الدكتور أحمد شلي ص ٦٣.

وهذه العقيدة تبنى على اعتقاد الهندوس بأن الرب والروح ومادة الخلق أزلية فالروح لا تفي فناء كاملاً فإنها إذا خرجت من جسم، حلت جسماً آخر، وهكذا تنتقل من جسم إلى جسم حتى تقوم القيامة.

مسألة القيامة:

أعمار الدنيا منقسمة إلى أربعة أدوار:

١- ست يوج. عهد الصدق والوفاء.

٢- ترتيا يوج.

٣- دوابر يوج. عهد الفوضى.

٤- كل يوج. عهد الظلمة والجهالة.

وكل دور من هذه الأدوار له خصائصه ومميزاته:

ست يوج: يولد في هذا الدور من يحب الدين فقط.

ترتيا يوج: يولد في هذا الدور من يجمع في حبه بين الدين والدنيا.

دوابر يوج: يولد في هذا الدور من يجمع في حبه الشهوات

والرغبات مع الدين والدنيا.

كل يوج: يولد في هذا الدور من يجري وراء الشهوات والرغبات

فقط.

وكل دور من هذه الأدوار يستغرق ملايين من السنين:

ست يوج: ٤٨٠٠ سنة إلهية.

قرتيا يوج: ٣٦٠٠ سنة إلهية.

دوابر يوج: ٢٤٠٠ سنة إلهية.

كل يوج: ١٢٠٠ سنة إلهية.

والسنة الإلهية الواحدة تساوي ٣٦٠ سنة إنسانية.

فبعد مضي جميع هذه الأدوار تعيد الدنيا عملها مرة أخرى من "ست يوج" إلى "كل يوج" ملايين المرات ثم تقوم القيامة، وتنجو الروح من تنقلها وتتصل بالروح العليا، ثم تعيد الدنيا هذه العملية مرة أخرى وثانية وثالثة إلى ما لا نهاية له وهكذا^(١).

والسبب في ذلك كما يقولون: إن الروح لها ثلاث خصائص:

١- ستوكن:

ومن علامته أن تكون الروح راغبة في العلم والمعرفة.

٢- تموكن:

ومن علامته أن تكون الروح بعيدة عن العلم والمعرفة، ويتسلط

عليها الغباوة والجهل.

٣- رجوكن:

ومن علامته أن تكون الروح راغبة في الخير في وقت، ونافرة منه في

وقت آخر.

(١) انظر بعض التفاصيل في ستياراتها بروكاش، الباب الثامن، خلق الكائنات.

هذه الخصائص هي التي تسبب إعادة الروح مرة بعد أخرى
لحصول النجاة من أراذل صفاتها لتصل إلى أعلاها، فالروح الناجية هي
التي تهدف إلى وجودها في "ستوكن" وإلا فتنتقل من جسم إلى جسم
حتى تجدد مرادها.

وبناء على هذا الأصل وهو أزلية الروح أقام علماء الهنادك الأدلة
العقلية على إثبات التناسخ، ولا بأس أن أناقش هنا بعضاً منها.
الدليل الأول: إن طبيعة الكون تثبت نظرية التناسخ، فالشمس
والقمر والكواكب كل منها يطلع ويغرب، يظهر ويختفي، وتكون
الكواكب مرة في هذا البرج، ومرة في ذلك، فكذا الأرواح يجب أن
تنتقل.

الجواب: لم تكن الشمس يوماً من الأيام قمراً، ولا القمر شمساً،
ولا الكواكب مجراً، بل كل في فلك يسبحون بأمر الخالق، بخلاف
أرواحكم أيها الهندوس فهي مرة تكون في جسم الإنسان، ومرة في
جسم الكلب، ومرة في جسم الخنزير وهكذا، فقارنوا بين طبيعة الكون
وطبيعة الأرواح.

الدليل الثاني: إن القول بعدم التناسخ يستلزم أن يولد كل طفل
على صفة واحدة، فلماذا يولد هذا أعمى، وذاك أعرج، والثالث
أكمه، والرابع سليماً... وهلم جرا وإلا فيجب أن نقول: بأن الخالق
غير منصف، إذ ابتلى هذا الطفل بغير ذنب وهذا لا يجوز في حق الخالق.

الجواب: إذا كان سبب الاختلاف في المولد هو التناسخ فلماذا يكون الرجل صحيح الجسم والبنية عند الشباب، وعند الكهولة ضعيفاً، وعند الشيخوخة مشلول اليدين، وأعمى العينين، وهل خرجت روحه من جسمه وحلت فيه روح أخرى وهو حي يرزق، وأنتم لا تقولون بتنقل الروح إلا بعد الموت. وأما الاختلاف في صفات المولود فهو راجع إلى الوراثة وأنتم تقولون بذلك.

الدليل الثالث: يقولون: إن القول بعدم التناسخ يؤدي إلى تعطيل الأرواح مع أنها أزلية.

الجواب: هذا الدليل مبني على اعتقادهم الفاسد وهو: أزلية الروح والمادة لأنه يؤدي إلى احتياج الخالق إلى الروح والمادة عند الخلق. وهو غني عن كل شيء، وقادر مطلق حتى في اعتقاد الهندوس: "سروشكتي مان" أي القادر المطلق.

ويرد على هذا الدليل القرآن الكريم بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

الدليل الرابع: يقولون: إن الذين ينكرون التناسخ ويشبتون الثواب والعقاب الدائمين في الجنة والنار مقابل عمل محدود قليل، فإنه يؤدي إلى عدم الإنصاف من الله، فلزم الإيمان بالتناسخ "لينفوا عنه" الظلم.

الجواب: إن العذاب والثواب لا يقاسان بالزمان والمكان فقط بل العامل الأساسي في ذلك هو التأثير سواء كان جميلاً أم قبيحاً، كما

نراه في حياتنا الدنيوية، فكم من خدمات عظيمة يقدمها الإنسان بدون أجر أو تشجيع بينما عمل ضئيل له تأثير كبير على المجتمع البشري فيجازي العامل بأعظم أجر.

ومن ناحية أخرى نقول: الذين يؤمنون بالتناسخ ويقولون: إن الروح الناجية هي التي تتحد بالروح العليا، وتنعم إلى الأبد، ولا ترجع مرة أخرى إلى العالم الأرضي. أليس هذا من الثواب الدائم مقابل عمل محدود؟

هذه هي عقيدة التناسخ لدى جماهير الهندوس والبوذيين. وقد تسربت هذا العقيدة إلى بعض الفرق المنشقة عن الإسلام. يقول أبو محمد بن حزم: افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين، فذهبت الفرقة الأولى إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت. وهذا قول أحمد بن حابط، وأحمد بن ناموس تلميذه، وأبي مسلم الخراساني، ومحمد بن زكريا الرازي الطيب، صرح بذلك في كتابه الموسوم: بالعلم الإلهي وهو قول القرامطة. وقال الرازي في بعض كتبه: لولا أنه لا سبيل إلى تخلص الأرواح على الأجساد المتصورة بالصورة البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصورة الإنسان إلا بالقتل والذبح لما جاز ذبح شيء من الحيوان ألبة.

وقال ابن حزم: وهذه كما ترى دعاوى وخرافات بلا دليل،

وذهب هؤلاء إلى أن التناسخ إنما هو على سبيل العقاب والثواب، قالوا: فالفاسق المسيء الأعمال تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الخبيثة المرتظمة في الأقدار، والمسخرة المؤلمة الممتهنة بالذبح واختلفوا في الذي كانت أفاعيله كلها شرا لاخير فيها فقال بعضهم: أرواح هذه الطبقة هي الشياطين.

وقال أحمد بن حابط: إنها تنتقل إلى جهنم فتعذب بالنار أبد الأبد، واختلفوا في الذي كانت أفاعيله كلها خيرا لا شر فيها فقال بعضهم: أرواح هذه الطبقة هي الملائكة، وقال أحمد بن حابط: إنها لاشك تنتقل إلى الجنة فتنعّم فيها أبد الأبد.

واحتجت هذه الطائفة المرتسمة بالإسلام أعني أحمد بن حابط وأحمد بن ناموس بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(١)، وبقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾^(٢).

وقال: واحتج من هذه الطائفة من لا يقول بالإسلام: بأن النفس لا تنتهي، والعالم لا ينتهي لأمد فالنفس منتقلة أبدا، وليس انتقالها إلى

(١) سورة الانفطار: ٦-٨.

(٢) سورة الشورى: ١١.

نوعها بأولى من انتقالها إلى غير نوعها، انتهى^(١).

وهذه الأدلة التي ذكرها أصحاب هذه الفرق لا تحتاج إلى الرد لأنها أولاً: مخالفة للإجماع.

وثانياً: إنها محاكاة للهندوس والبراهمة. والإسلام بريء من خرافاتهم وأباطيلهم.

ومع انتشار هذه العقيدة بين جماهير الهندوس فإنها لم تكن موضع اتفاق في البداية، كما بدأ الخلاف في صفوفهم من جديد لاستحالة قبول العقل مثل هذه الخرافات والتراثات.

ففي كتاب "برلوك أور بنرجنم" يعني "الآخرة ومسألة التناسخ" قصة يستدل بها المؤلف "كوبندكا جي" على مسألة التناسخ ولكن في القصة نفسها إشارة واضحة بأن هذه المسألة كانت موضع خلاف شديد بين الملائكة والمقربين.

تقول القصة: كان "واج شروش" (WAJ SHARWASH) يتصدق بالأبقار غير الصالحة لدر الألبان. ويرجو أن يثاب على ذلك فاعترض عليه ابنه "ناجي كيتا" (NACHI KEETA) فغضب الأب وبعثه في عالم الأموات فرحّب به ملك الموت وسرّ بمنجيء هذا الابن الذكي وقال له: اسأل ما تشاء، فقال الابن: إن الناس يختلفون في الأرض فيما يحدث

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٩٠/١-٩١.

للإنسان بعد الموت؟ يقول بعضهم: إن روح الأموات تبقى بعد الموت، والبعض ينكرون ذلك، فما هي حقيقة هذا القول؟ قال ملك الموت: أيها الطفل الذكي: إن هذه المسألة من أصعب المسائل فهما وإدراكا حتى الملائكة والمقربين يقعون في حيرة شديدة من معرفة مصير الأرواح. فاسأل سؤالا آخر، إلا أن الابن ألحَّ على ذلك فأجابه ملك الموت... الموت.

هذه القصة تدل صراحة بأن مسألة التناسخ لم تكن موضع اتفاق لدى فلاسفة الهندوس في بداية الأمر وإلا لما تهرب ملك الموت من الإجابة عنها في أول الأمر، ولم يقل للابن إن الملائكة والمقربين لا يستطيعون فهم هذه المسألة.

كما أن بعض علماء الهندوس المُحدِّثين الذين ينكرون هذه العقيدة استخرجوا بعض النصوص من الفيدات للدلالة على البعث والنشور لا على عقيدة التناسخ.

ففي "ريج فيدا": اجتهدوا في حصول الشمس حتى تعرفوا قدر النار، إن رسلنا "بهرت" و"بكو" و"مات رشو" كلهم يؤمنون بالحياتين^(١).

(أي الحياة الدنيا والآخرة).

وفيه أيضاً: إذا أذنتُ لكم في تناول الطعام الأبدي فيا "أكنى" كن

(١) ريج فيدا ١١/١/٦٠/١٠.

من الذين يجتهدون في حصول الحياة الأبدية السرمدية^(١).

هذه عقيدة الفيدا في جولان الروح خلافا لما ذهب إليه العالم الهندوسي "ديانند"^(٢) مؤسس "آريا سماج"، وقلده جماهير الهندوس. وأما الذين أنكروا على "ديانند" وأتباعه فكثيرون منهم عالم كبير "راهول سنسكرتايان" الذي يعد من أشهر المؤلفين المحدثين في الهند يقول: إن الذين قالوا بقول التناسخ كانوا في زمان (أبا نشاد) ولعلهم ما عرفوا أن هذه المسألة ستكون موضع شك وارتياب فيما بعد، ولا يقبلها العقل السليم.

وتقول الدكتورة/ فريدة جوهان: نعم الفيدا يثبت التناسخ، ولكن مرة واحدة فقط لا آلاف المرات^(٣) تعنى بذلك البعث بعد الموت. ويقول "ستيا برকাশ": أنا أتحدى من يقول بالتناسخ فإن هذه العقيدة لا توجد في الفيدا^(٤).

ويقول "دركا شنكر" العالم الهندوسي الذي عرفته من مقالاته في مجلة "كانتي" الإسلامية التي تصدر من دلهي. وقد حاول هذا العالم الهندوسي إثبات تعاليم القرآن الكريم في الفيدات لتقليل المنافرة بين

(١) ربيع فيدا ١/٩/٤٤/٥.

(٢) المولود سنة ١٨٢٤م، والمتوفى سنة ١٨٨٣م.

(٣) التناسخ والفيدا ص ٩٣.

(٤) أواكمن ص ١٠٤.

الهندوس والمسلمين، وقد نجح في بعض هذه المحاولات. فكم من شباب هندوسي بدأوا يطالعون القرآن. يقول هذا العالم: إن من الأسئلة الغريبة التي وجهت إليّ هل في الفيدات مسألة اليوم الآخر؟ يقول: هذا السؤال كمن يسأل: هل في الجسم روح؟، فإن الفيدات مملوءة بمسائل اليوم الآخر.

هذه هي عقيدة التناسخ لدى جماهير الهندوس. ولا أدري ماذا يكون موقفهم بعد هذا.

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

٤- عقيدة الكارما:

وهو قانون الجزاء الذي يقرر إن كان الإنسان صالحاً في واحدة من دورات حياته الحلولية فإنه سيلقى جزاء ذلك في الدورة الثانية، وإذا كان طالحاً فإنه سيلقى جزاءه في الدورة الثانية أيضاً.

جاء في كتاب "اليوجا فاسشتا" ما يلي:

"ليس في الكون مكان - لا الجبال، ولا السماوات، ولا البحار، ولا الجنات، يفر إليه المرء من جزاء أعماله، حسنة كانت أو سيئة".

والكارما هو أساس التناسخ فإن الظالم قد ينتهي دون أن يذوق عقاب ظلمه، فلجأ الهندوس إلى إيجاد عقيدة التناسخ حتى لا يفر المرء

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

من الكارما. وإنه يحدد الحياة الثانية.

والكارما لها ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: برارمبا كارما.

الحالة الثانية: سأنجيت كارما.

الحالة الثالثة: كيرامان كارما.

فالحالة الأولى: أنها تُسَيِّر الحياة الحاضرة، وتحتّم أنه لا محالة أن يجازى الإنسان على أعماله.

والحالة الثانية: إن نتائج كارما كانت موجودة من قبل، ولكن يمكن دفعها بالعلم.

والحالة الثالثة: أنها تُؤثِّر في الحال، وتظهر نتائجه في المستقبل.

ومع ذلك فإن بعض علماء الهندوس يعتقدون بأن الكارما قد لا تؤدي دورها المعهود، وإن الأعمال قد تنتهي بدون أثر يذكر.

٥- عقيدة النرفانا:

يعني النجاة. وهي حالة الروح التي بقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة ولم تعد تحتاج إلى تناسخ جديد فيحصل له النرفانا (النجاة) من الجولان وتتحّد الروح بالخالق.

يقول "كرشنا":

"من يعرف طبيعة ظهوري وأعماله التجاوزية لا يولد ثانية عند

تركه الجسد في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي"^(١).
وهنا نشأ القول بوحدة الوجود، فيقال على لسان الصوفية:
وما الكلب والخنزير إلا إلهنا * وما الله إلا راهب في كنيسة
يقول ابن عربي:

فما نظرت عيني إلى غير وجهه * وما سمعت أذني خلاف كلامه
فإن الهدف الأسمى للحياة عند الهندوس هو التحرر من رق الأهواء
والشهوات، فإن الروح إذا خرجت من جسم تنتقل إلى جسم آخر
وهكذا تظل متنقلة من جسم إلى جسم حتى يحصل لها "النرفانا" وهو
العودة إلى أصلها الذي صدرت عنه، والاتحاد والاتصال به وهو
"برهما". وفي تعبير المتصوفين "الفناء".
يقول "ديانند":

"إن الروح بعد أن حصلت على النرفانا وبقيت تنعم في الذات
العليا تعود ثانية إلى التجسد (الكارما) وتعيد عملها من جديد، لأنها
أزلية لا تفنى".

ومما لا شك فيه أن التصوف تأثر كثيراً بالعقائد الهندية. ففكرة
الاتحاد أو وحدة الوجود عند الحلاج وابن عربي وغيرهما من
المتصوفين مصدرها "الفيدانت" حيث ترجم في عهد المأمون في دار

(١) الكيتا: أشلوك ٩.

الحكمة، وبقي ابن عربي مدة من الزمن في الشرق بعد أن خرج من موطنه بلاد الأندلس، وكان يتلقى مبادئ التصوف من مشايخ الشرق وألف كتابه "الفتوحات المكية" بمكة المكرمة وهو شبيه بتعليمات التصوف الهندي. وكان يدعي أن الحقيقة المحمدية شكل آخر من وحدة الوجود.

أليس قول ابن عربي: الاعتقاد بصحة كل عقيدة حتى ولو كانت عبادة حجر أو شجر. شبيه بفكرة "الفيدانت" القائلة: وفي النهاية كل هذه الأفكار توصل إلى ذات الله.

وقد أكد بعض المستشرقين أن الطريقة الأكبرية (وهي المنسوبة إلى ابن عربي الذي لُقّب بالشيخ الأكبر) في الأصل تأسست في الهند على يد صاحبها محيي الدين ابن عربي في القرن السادس الهجري، وانتشرت بين مسلمي الهند^(١).

ولا يبعد أن يكون ابن عربي أيضاً ممن خرج إلى الهند لتلقي مبادئ الفلسفة الهندية مثل شيخه في وحدة الوجود الحلاج، إلا أن هذه الدعوى تحتاج إلى إثبات.

وقد أكد "جولد تسيهر" وجود علاقة قوية بين العقائد الهندية وبين الآراء الصوفية الإسلامية.

(١) انظر مقال الطريقة الأكبرية ص ٣٠٦، للدكتور أبو الوفاء التفتازاني. الكتاب

التذكاري في الذكرى المئوية الثامنة لميلاد ابن عربي.

يقول: "فالأشكال الكثيرة للرياضات الدينية المتعلقة بالذِّكْر في الجماعات الصوفية وكذا الوسائط الَّتِي تستخدم للوصول إلى الانجذاب والنشوة -نظام التنفس- أرجعها "كريم" إلى أصولها الهندية الَّتِي أثبتت صدورها عنها"^(١).

ومن ثمرات "النرفانا" فناء الشخصية والاتحاد بالجوهر الذاتى "برم آتما" ومن هنا جاء إحراق الموتى تخلصاً من الجسم المادي لتعلو الروح إلى العالم العلوي. والنار هي إحدى مظاهر الألوهية "أكني" وهي بدورها تقرب إلى "برميشور" الذات العليا.

(١) انظر العقيدة والشريعة في الإسلام ص ١٦١-١٦٤.

البوذية

تاريخها وأهم معتقداتها

تاريخ موجز عن نشأة البوذية

إن البوذية حركة فاشلة لا تكفل حاجات البشر، لأنها تعيش في الخيالات والأوهام، ولا تواجه مشاكل الحياة وصعابها، وهي أقرب إلى الفلسفة في الحياة منها إلى الدين، وتقوم على التجرد والزهد تخلصاً من الشهوات والآلام. وكان مؤسسها قد أحيط بالقصص الغرامية والأساطير الخرافية التي لا يؤيدها العقل والمنطق.

يقال: إنه ولد في مدينة لُمبِنِي^(١) قريب من "كَبَلُ وَاسْتُو" في جنوب نيبال وكان أبوه "شودودان"^(٢) ملك شاكيا، والتاريخ يبين لنا أن ملك شاكيا في عصره هو "بديا" و"دندباني" فوقع المؤرخون في حيرة شديدة لهذا التناقض وحاول كثير منهم دفع هذا التعارض بتأويلات بعيدة عن الواقع منها أن الحكومة كانت جمهورية، ونواب البرلمان كانوا يسمون ملوكا.

هكذا حاول مصنف كتاب "بُوذا دَرُشَن"^(٣) ولكن من الصعب

(١) وهي في شرق محطة قطار "نوتتوا" بقرب ثمانية أميال.

(٢) يقول غستاف لوبون: "بُوذا كعيسى ولد من أم عذراء" (حضارة الهند ٣٤٤) وهذا كذب محض فإن المؤرخين الهنود من الهندوس والبوذيين متفقون على أن بوذا ولد ولادة طبيعية من أم وأب، ومن غستاف لوبون أخذ بعض مؤرخي العرب في أديان الهند.

(٣) ص (١٩) وهو "راهول سنسكرا تايا" من أشهر المؤلفين في البوذية.

قبول هذا التأويل فإن الهند لاتعرف هذا النظام الجمهوري في العصور القديمة.

وهناك اختلاف شديد بين المؤرخين حول بوذا^(١) ووجوده التاريخي لأن تعليماته لم تدون إلا بعد أن مضى عليها ثلاثة قرون في زمن الملك "أشوكا"^(٢) الذي تولى العرش سنة ٢٧٣ ق.م. وهو من ملوك الهند عاش قبل المسيح بقرنين ونصف قرن تقريباً وكان من الدعاة البوذيين وهو الذي أرسل المبلغيين البوذيين إلى الصين واليابان والتبت وسيلان وبورما وغيرها من البلدان، وأمر بكتابة الحكم البوذية وتعاليمها على اللوحات الحجرية التي كانت تنقل في هذه القرون المظلمة مشافهة، فضاع منها شيء كثير في متاحف الزمان، والذي بقي غير موثوق به لعدم تحري الملك "أشوكا" هذه الحكم والتعاليم، وكانت هناك فكرة هندوسية سائدة في البلاد وهي (أن كل فكر صالح مصدره

(١) أصل كلمة بوذا "بدها" (BUDHA) ومعناها صاحب العلم والمعرفة واسمه الحقيقي "سدهارتا" (SIDHARTA) واختلفوا في تاريخ ولادته فكل قال بالظن والخرص بعد اتفاقهم بأنه كان قبل المسيح بخمسة قرون.

(٢) أقدم الوثائق التي تحتوي على تعاليم "بوذا" هي "البثاكات" باللغة البالية ومعناها القانون، أعدت هذه الوثائق للعرض على المجلس البوذي الذي انعقد سنة ٢٤١ قبل الميلاد. وقد وافق المجلس على أن ما في هذه الوثائق هو تعاليم "بوذا" ترجم بعضه إلى العربية في كتاب بعنوان "إنجيل بوذا".

(الفيدانت)^(١) ومن عادة النساك والرهبان التأثر الانفعالي بحكم ونصائح بدون الوثوق بقائلها.

وهذه الفكرة جرتهم إلى الاعتقاد بأمور كثيرة لا برهان عليها من الدين والعقل. والرهبان البوذيون كانوا يتجولون في المدن والقرى مبلغين تعاليم بوذا.

ومن الأساطير التي أحيطت بمؤسسها: قيل إنه لما بلغ أشده خرج ذات يوم من قصره فرأى شيخاً هرمًا، وخرج يوما ثانياً فرأى رجلاً مريضاً، وخرج يوماً ثالثاً فرأى ميتاً على جنازة فسأل محافظه عن الهرم وسببه، وعن المرض وسببه، وعن الموت وسببه، ولما أخبره بأن كل مولود مصيره الهرم والمرض ثم الموت، كره بوذا هذه الدنيا والبقاء فيها، وخرج ليلاً من قصره يطلب النجاة من الهرم والمرض والموت إلى الصحاري والغابات.

هذه الحكاية ذكرها مصنف كتاب "بوذا درشن" ونسبها إلى بوذا نفسه^(٢) وينقل بالتواتر في الكتب البوذية.

(١) الكتاب المقدس عند الهندوس وقد مضى ذكره في الديانة الهندوسية.

(٢) فإنه خاطب الرهبان وقال لهم: كنتم تعلمون فيما كنت فيه من جلال عيش ورفاهية بالغة - قلت لنفسي: "إن رجلاً جاهلاً من سواد الناس ستنال منه الكهولة كما نالت من ذلك الشيخ، وليس هو ببعيد عن نطاق الشيخوخة... ثم قال: فبدأت أبحث عن السكينة العليا، سكينة النرفانا.

ولا أدري كيف يُروى الناس مثل هذه الحكايات وينسبونها إلى معبودهم الأعظم الذي يبلغ من عمره ثلاثين سنة وهو لا يعرف معنى الهرم والمرض والموت حتى يسأل محافظه ثم يترك الدنيا باحثاً عن النجاة منها. وأين له ذلك؟ فهل في قدرة البشر أن يخرق القوانين الطبيعية؟.

هكذا يحاول بوذا عبثاً أن يخلص نفسه من الهرم والمرض والموت فبقي يتحمل المشاق في السفر والحضر، ويعذب جسمه بالحر والبرد، ويحرمه من الشراب والطعام ست سنوات مع الرهبان والنسك، يتنقل من غابة إلى غابة حتى يئس من مطلبه، واضمحل جسمه من كثرة التعذيب، فنوى رجوعه إلى ملكه ليبدأ من جديد حياة رغدة.

يقال: إنه كان على هذه الحالة من القنوط واليأس لما فات حتى تنورت له الدنيا كلها، وحصل له علم كل شيء، ادعى أنه علم إلهي، وكشفت له ظلمات البر والبحر، وظهرت له حقيقة الموت والحياة، فبدأ ينشط من جديد، وألزم نفسه أن يبقى راهباً، ويعيش راهباً، ويدعو الناس إلى دينه، ويموت على ذلك.

وكان من آخر دروسه:

"الذي يؤمن بالبوذية والجماعة والدين يحصل له "النرفانا" ولما عرف "آنندا" تلميذه الوفي قرب موته بدأ يبكي فقال له بوذا:

"وإن كل من صار لنفسه -يا آنندا- مصباحاً يهدي، وكل من صار لنفسه ملاذاً يؤوي، سواء في حياتي أو بعد مماتي، فلن يلتمس لنفسه من غير نفسه مأوى. ويتمسك بالحق مصباحاً.. فلا يطلب من

غير نفسه ملاذاً. أمثال هؤلاء هم الذين سيبلغون أعلى الذرى! لكن ينبغي أن يكون بهم شغف بالمعرفة".
ثم قال له:

"ولا تبك فكل موجود مصيره الفناء، وعليك أن تجاهد نفسك، وتحصل على "النرفانا" إذا انقلعت عن الذنوب والمعاصي، أنا لست أول بوذا ولا آخره، مادام تلاميذي يقومون بالواجب ينتشر هذا الدين. ولما يجتفى نور الحق يأتي "بوذا" الآخر الذي يجدد ديني ويكون اسمه "ماترا" لا يظن أحدكم أنه ليس له مرشد بعدي، فنظام الجماعة هو مرشده وأستاذه".

وكان آخر كلامه:

"كل موجود مصيره الهلاك والفناء فعليكم أيها التلاميذ بمجاهدة النفس جهاد المخلص الجاد للحصول على "النرفانا"، ثم فارق الحياة سنة ٤٨٣ ق.م^(١).

يلاحظ القارئ الكريم أن "بوذا" في آخر لحظة من حياته قبل موته لم يؤمن بالله سبحانه وتعالى، ولم يؤصِّ أتباعه "البهكشو" بالإيمان به. ولذا وصف بعض العلماء بأن "بوذا" كان مُلجِداً ومات على ذلك. فالعجب لمن يجعله رسولا ونبياً لأهل الهند.

(١) وشوا دهرم درشن، ص ١٥١-١٥٢، انظر أيضاً قصة الحضارة ٨٩/٣-٩٠.

تعليمات بوذا

إن بوذا لم يؤلف كتاباً، بل كان يلقي الخطب والمواظظ على تلاميذه كما أنهم أيضاً لم يهتموا بتدوين هذه المواظظ، بل هناك بعض النصوص في الكتب البوذية فيها التصريح بأن بوذا كان يمنع أتباعه من كتابة دروسه، وكانت هذه المواظظ تنقل شفويًا، ولم يجزم علماء التاريخ بأي لغة تكلم بها بوذا.

ولذا بعد مضي عدة قرون على وجوده حصل التحريف والتبديل في كثير من تعاليمه إلا أن هناك بعض أمور يدعي البوذيون أنها متفق عليها لدى جميع الفرق البوذية وإن كان هناك خلاف كثير في التفسير والتعبير وهي التي تسمى بالحقائق المقدسة الأربعة عندهم.

الحقيقة الأولى: وجود الحزن:

يقول بوذا: "الولادة حزن، والكهولة حزن، والمرض حزن، والموت حزن، وعدم الوصول إلى المحبوب حزن".

أقول: إن بوذا يريد أن يغمض عينيه عن الواقع، ويعيش عيشة النعومة في الرمال، فإذا كانت هذه الأمور أحزاناً فهل يستطيع البشر أن يبعدوا أنفسهم عنها، وهل ذلك في مقدورهم أم هي من القوانين الطبيعية، ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(١).

(١) سورة الروم: ٣٠.

والفكرة البوذية إنما تسعى إلى خرق الطبيعة. فبوذا أراد أن ينجي نفسه من الكهولة والمرض والموت ولكن أنى له ذلك؟.

الحقيقة الثانية: في أسباب وجود الحزن:

يقول: هي الأمنية الكاذبة، والشهوات المهلكة التي تؤدي إلى الولادة من جديد.

الحقيقة الثالثة: في القضاء على الآلام والأحزان:

يقول: هي إمارة الشهوات والرغبات، واجتناب عن الحاجات الزائدة والسعي في قطع العلاقات الدنيوية واختيار العزلة التامة.

أقول: هنا أيضاً يفر بوذا من مواجهة واقع الحياة تحت ستار إمارة الشهوات فبدلاً من أن يوجه هذه الشهوات إلى فعل الخير والسعادة، يميتها من أصلها، وبهذا السبب فإن كثيراً من رهبان بوذيين لما لم يستطيعوا الاجتناب الكلي للشهوات اختاروا الاختصاص بقطع أعضائهم، ولا أدري لو استمر هذا الوضع في الجنس البشري جميعاً كيف تبقى هذه الدنيا ومن عليها، فلا شك أن بوذا لم يكن يفهم معنى الشهوة وإلا لما أرشد إلى أمر غير فطري وخارج عن قدرة البشر، والتاريخ يشهد على الأعمال القبيحة التي تعمل في مراكز الرهبان البوذيين في ظلمات الليل، بل وفي وضح النهار تحت الأرض من الخانقاهات.

وهذا يدل صراحة على فشل فكرة بوذا في حصول النجاة عن

طريق غير طبيعي لا يتفق مع نظام الكون وقوانين الطبيعة والفطرة الإنسانية.

الحقيقة الرابعة: الأعمال التي تساعد على القضاء على الآلام والأحزان:

يقول العلماء البوذيون هي ثمانية أصول:

١- الاعتقاد الصحيح: ويقصدون به الاعتقاد بالحقائق الأربع المذكورة.

٢- النية الصالحة: ويقصدون بها نفي الذات والسعي في إفادة الخلق ثم يقولون:

هذا يحصل بثلاثة طرق: أ- بترك الدنيا ولذاتها. ب- وبترك العداوة. ج- وبترك القتال.

٣- القول السديد: ويقصدون به ترك ما لا يعنيه، والاشتغال بما يفيده.

٤- الفعل الحسن: ويقصدون به التذكر بالأجسام المركبة من أجزاء نجسة.

٥- الكسب الصحيح: لا أدري من أين أدخل العلماء البوذيون هذا

الأصل. والرهبان يعيشون على التسول ويحرم

عليهم الاشتغال في حصول الرزق إلا أن يقال:

إنهم يقصدون به القدر الكافي من القوت اليومي.

٦- السعي المشكور: ويقصدون به القيام بالأعمال النافعة.

٧- الذكرى الصالحة: ويقصدون بها ذكر بوذا وأحواله وسيرته.

٨- المراقبة الصحيحة: ويقصدون بها مراقبة بوذا وتذكره وإحضاره

في القلب، وتركيز العينين على تمثاله.

وهذه هي الأعمال التي تساعدكم على القضاء على الآلام والأحزان.

وبناء على هذا رتبوا الأصول العشرة المعروفة عند الرهبان وهي:
تحريم قتل النفس، وتحريم السرقة، وتحريم الكذب، وتحريم شرب
الخمر، وتحريم الأكل بعد الظهر، وتحريم الرقص والموسيقى، وتحريم
التطبيب، وتحريم الجلوس في الشارع والمكان المرتفع، وتحريم قبول
الهدايا من الذهب والفضة.

هذه هي المحرمات العشرة المعروفة للرهبان البوذيين.
ومن تعليمات بوذا: إنه لا يُقرُّ بوجود الطبقات الموجودة في
الهندوسية، بل سَوَّى بين الناس جميعاً. وإن التفريق العنصري الذي دعا
إليه الهندوس ليس هو الأساس، بل الأساس في التفريق صلاحية الفرد
وعدمه، وأعماله في الحياة الماضية ويضيف إلى هذا بأن النجاة قد تحصل
لفرد من أدنى الطبقات إذا سلك طريق العشق والمحبة والمراقبة.
وهذا التعليم من بوذا من أعظم المرغبات للمنبوذيين المضطهدين في
الطبقات الهندوسية للدخول في البوذية.

سبب الآلام والمصائب:

يقول بوذا: "تبدأ الآلام والمصائب إذا أراد أحد أن يميز نفسه عن

الآخرين، لأن كل شيء في الكون مربوط بوحدة لا انفكاك فيها، بإبراز شخصية ما يدعو إلى تغيير العالم، والإنسان يجهد نفسه إلا أنه غير قادر على تغيير الكون، فتفتح له أبواب المصائب". ويضيف بوذا فيقول: "والجاهل لا يعذر في هذا الكون المحكم".

وباختصار فإن من عقيدة بوذا أن الألم أرجح كفة من اللذة، فخير للإنسان ألا يولد، كما استنتج بعض العلماء من تعاليم بوذا أنه يُجيز الانتحار، لأن البقاء سبب للآلام.

والبوذيون لا يرغبون في التناسل ولذا يحرم على الرهبان أن يتزوجوا حتى لا يكونوا سببا للولادة.

ولعل أبا العلاء المعري تأثر بالبوذية؛ لذا أوصى أن يكتب على قبره بعد موته:

هذا ما جنّاه أبى علّ * سيّ وما جنيت على أحد
والبوذي لا يحصل على "النرفانا" إلا بعد اقتلاع شهواته الجسدية
اقتلاعاً تاماً فيقولون: إن من مُكوّنات النرفانا: السيطرة الكاملة على
النفس، والبحث عن الحقيقة، والنشاط، والهدوء، والغبطة، والتركز،
وعلو النفس^(١).

(١) قارن بما في قصة الحضارة ٨٥/٣.

الألوهية في البوذية

كان بوذا في أول الأمر يتحاشى الدخول في مباحث الألوهية خوفاً من أن يقع في المتناقضات، ويترك الناس حيارى، ولا أدري كيف يدعي بوذا أنه حصل له "النرفانا" والعلم الإلهي، وهو لا يعرف ربه، وخالقه، وإلهه، ويضاف إلى ذلك أنه يدعو الناس إلى دينه ليخرجهم من المصائب والآلام، ومن هنا تشكك الناس كثيراً في البوذية وكونها ديناً. فإن معرفة الرب والخالق أساس الأديان والمثل في العالم.

فقال جمع من المحققين إن البوذية ليست بدين، بل هي حركة عكسية قامت تعاند الأفكار الهندوسية، بما طرأ عليها من الخرافات والبدع. وخاصة لمحاربة الطبقات المعروفة في الهندوسية، فأراد بوذا أن يجذب هؤلاء المنبوذين إلى جماعته.

وفعلاً لقد انتشرت البوذية في الطبقات المضطهدة في الهند أكثر من غيرها. ولكن السؤال هو: هل حصل لهؤلاء الضعفاء والمساكين ما أرادوا؟ ألا وهو معرفة الرب وذكره لاطمئنان القلوب. لا شك أن الجواب يكون بالنفي. فإن هؤلاء وإن ترفعوا قليلاً في المجتمع الهندي إلا أنهم لم ينور لهم طريق الحق والهدى.

وهنا يستطيع الإسلام أن يملأ هذا الفراغ الروحاني بتعاليمه السامية التي شملت الحياتين الدنيا والآخرة. فالإسلام لا يُقَرُّ بالطبقات (أقصد بها الطبقات الهندوسية الأربعة المعروفة) ولا ينظر إلى الأجناس، فكل

بني آدم من تراب وخير الناس أتقاهم لله.

وأعود إلى موضوعي حول المباحث الألوهية في البوذية فأقول:
إن المسألة لا يزال فيها نزاع شديد بين المحققين. وهم تحزبوا إلى
فئتين كل منهما بأدلة لا قيمة لها في ميزان النقد. ومع هذا فأثبت أدلة
الفئتين لتوضيح المسألة.

أدلة المنكرين:

قالوا: إن بوذا لا يؤمن بالإله الخالق. وكان يمنع أتباعه من الخوض
في ذلك.

يُنقل عن بوذا: "إن راهبين من الهندوس جاءا إلى بوذا وهما يريدان
الحلول "برهما" فوقع بينهما خصومة شديدة في تعيين الطريق
فتحكما إلى بوذا".

فقال بوذا: هل تعرفان مسكن برهما؟

قالا: لا.

قال بوذا: هل رأيتما برهما؟

قالا: لا.

قال بوذا: هل تعرفان طبيعة برهما؟

قالا: لا.

قال بوذا: هل ترضيان أن تتحدا بالشمس؟

قالا: لا. لأنها بعيدة عنا وهي محرقة.

قال بوذا: إذا لم يمكن لكما أن تتحدا بالشمس وهي مخلوقة فكيف
بخالقها؟

ثم قال لهما: هل برهما حاسد ومتكبر؟
قالا: لا.

قال بوذا: وهل يوجد فيكم الحسد والكبر والبغض؟
قالا: نعم.

قال بوذا: إذا كيف يمكن لكما أن تتحدا ببرهما وطبيعتكما تختلف
عن طبيعته؟^(١)

ومرة حصل الكلام بين بوذا وبين عالم هندوسي "واششتا" فقال
بوذا: هل رأيت برهما بعينك؟ بل هل من أسلافك أحد رآه بعينه؟
فسكت العالم الهندوسي.

وقالوا أيضاً: لقد وقع الإجماع من العلماء المتقدمين على أن بوذا
كان ينكر الألوهية وهؤلاء هم:

"تَان سِين" سنة ١٥٠ ق.م، و"نَاجَا أَرْجُن" سنة ١٧٥ م،
و"آسَنَك" سنة ٣٦٠ م، و"بَسُوينْد" سنة ٤٠٠ م، و"دَجَنَاج" سنة
٤٢٠ م، و"شَانَت" سنة ٧٥٠ م، و"شاكيا شري بلدر" سنة ١٢٠٠ م
وغيرهم.

(١) بُودَا دَرُشَن ص ١١٤.

وقالوا أيضاً: إن بوذا لم يذكر وجود الإله في الحقائق المقدسة، كما لم يُوصَ تلميذه البار "آندا" بالإيمان بالله وإنما أوصى له أن يتخذ من نفسه ملاذاً.

هذه بعض أدلة المنكرين فمن يريد الإيضاح أكثر من هذا فليرجع إلى كتاب "راهول" المسمى "بوذا درشن"^(١).

أدلة المثبتين:

إن بوذا كان يؤمن بالإله الأكبر، إلا أنه لم يهتم بهذا، لأنه كان أمراً معلوماً لدى المجتمع الهندي وأدلتهم على ذلك ما يلي:

الدليل الأول:

قالوا: العقل والنقل.

أما العقل فلا يتصور الدين بدون الإقرار بالرب لأنه أساس مشترك بين جميع الأديان، ولهذا يتحاشى المنكرون أن يسموا البوذية ديناً. وأما النقل: فقد جاء لفظ (إيشور) معناه (إله) في كتاب "انكرنكاي"^(٢) وفي كتاب "منجم نكاي"^(٣) ويوجب المنكرون على هذا بأن مفهوم الإله بدون صفات هو فكر مجرد لا يفي بالغرض المنشود فإن بوذا لا يصفه بوصف يجعله موجوداً.

(١) ص ١٧١، ٥٣، ٤١، ١.

(٢) الباب ٤١.

(٣) الباب ١٠١، وهما من الكتب الأساسية لتعليمات بوذا.

الدليل الثاني:

إن البوذيين لا يعتقدون اعتقاد البراهمة في ألوهية برهما (الخالق) بل يفضلون بوذا عليه.

وهذا التفضيل هو سلاح قوي بأيدي المنكرين للرد على بوذا وأتباعه الذين يؤمنون بوذا ويعبدونه من دون الله وهو مخلوق مثلهم. ثم يقول المثبتون إن الشبهة حصلت لأسباب منها:

١- كان "سدهارتا" سابع سبعة كلهم يدعون بـ "بوذا" وهم: سكها بوذا، وبسا بوذا، ويسهاد بوذا، وكوسنكا بوذا، وكرنا كنا بوذا، وسبا بوذا، فاختلف الأمر فذكروا هذا بدلاً من ذاك، وذاك بدلاً من هذا.

٢- إن بوذا قد أثار على "برهما" ولم يحترم تعاليم "الفيدا" فاتهمه الهندوس بالإلحاد. وأشاعوا هذا القول في المجتمع الهندي ففسقوه وكفروه حتى صارت البوذية غريبة في وطنها ومسقط رأسها.

٣- كيف يتصور أن تكون التعاليم البوذية خالية من مسائل ما بعد الطبيعة، مع أنها غرقت في بحر الشرك وظلمات البدعة، وجعلت بوذا مقام الإله الأكبر. فظل البوذيون يعبدونه من دون الله^(١).

ومهما كان الأمر فإن هذا الخلاف الأساسي يهدم أصل هذه النحلة

(١) لقد ثبت لدى البوذيين أن بوذا لما دنت حياته الطويلة من ختامها راح أتباعه يؤمنونه، ولم ينتظروا في ذلك موته.

المنتشرة في آسيا وأفريقيا وبعض الدول الأوروبية. فإن الفكر المتدين لا يقبل أبداً أي دين من الأديان وفيه خلاف شديد في وجود الله وصفاته، وكيف يقبل إنسان ذو عقيدة وإيمان آراء بوذا في تخليص الإنسان من المصائب والآلام وهو لا يعترف في أي مرحلة من مراحل التخليص بوجود الله وقدرته، ثم يدعي لنفسه أنه حصل له "النرفانا".

فالرجل المفكر يرى بين الأمرين تناقضاً وتضارباً. وهذا التناقض من أحد الأسباب الأساسية لفشل هذه الحركة في مولدها ونشأتها. فإن سكان الهند لم يقتنعوا بأفكار بوذا كما اقتنعوا بتعاليم الإسلام السامية وهذا الذي حدث في الديار الأوروبية البعيدة عن التعاليم الإلهية عندما وصل إليها دعاة النصرانية، فإن أوروبا قبلتها مع تحريفها وتبديلها مع أن مجيئ عيسى عليه السلام تأخر خمسة قرون عن بوذا ولكن لم تنتشر دعوته في أوروبا.

والآن بدأ الأوروبيون مرة أخرى يبحثون عن دين يتمشى مع منطق العقل، ويفرق بين الخالق والمخلوق، وبين عيسى وربه، ولا شك أن هذا الفراغ لا يملؤه إلا الإسلام وتعاليمه الصافية النقية من التحريف والتبديل، ومن الغواية والزيغ، فكما أدَّى الإسلام دوراً مهماً في العصور القديمة فيما بين أفغانستان واندونيسيا - هذه الأرض الشاسعة المنتشرة فيها الأفكار البوذية - فدخل معظم هؤلاء في الإسلام، كذلك يستطيع أن يؤدي هذا الدور في أوروبا الآن.

وأما البوذية فإن كانت تسحر الناس بتعاليمها التقشفية، فإنه إذا أفاق المرأ من سُكرها وسِحْرها عرف حقيقتها وغايتها.

المجالس البوذية الأربعة:

المجلس الأول: انعقد المجلس الأول فور وفاة بوذا وأمر تلميذه المشهور: آنندا أن يجمع معتقدات بوذا كما أمر غيره بتدوين نظام الحياة للرهبان.

المجلس الثاني: انعقد المجلس الثاني بعد مائة سنة من وفاة بوذا وكان الغرض الأساسي لهذا المجلس تنقية تعليمات بوذا من الطقوس والرسومات التي سيطرت على البوذيين.

المجلس الثالث: انعقد هذا المجلس في حدود سنة ٢٢٤ ق.م في عهد الملك "أشوكا" وكان الغرض منه إزالة الاختلافات التي وقعت بين البوذيين في كثير من المسائل. وبعد انتهاء المجلس أُرسل الدعاة والمبلغين في أرجاء الهند وخارجها.

المجلس الرابع: انعقد المجلس الرابع في نهاية القرن الأول الميلادي في عهد الملك "كنشك" وكان الغرض لهذا المجلس تفسير تعليمات بوذا تفسيراً بعيداً عن التأويلات.

الفرق البوذية:

لم يأت عهد الملك "أشوكا" حتى انقسم البوذيون إلى ثماني عشرة فرقة. وأشهرها فرقتان هما:

الفرقة الأولى: هنيان - يعني العربية الصغيرة.

تنكر هذه الفرقة وجود الله تعالى والروح والإلهام، كما تؤمن هذه الفرقة بناسوتية بوذا وأنه إنسان ولد من أب وأم وعاش كغيره من الناس ومات، إلا أنه حصل له صفات عالية. وهو وصل إلى مرتبة قدس واستحق أن يلقب بـ "آجاريا منش".

واتخذت هذه الفرقة قول بوذا:

"لا تطلب من غير نفسك ملاذا" قاعدة أساسية لحصول "النرقانا".

هذه الفرقة تعتمد على قرارات المجلس الثالث.

وانتشرت هذه الفرقة في جنوب الهند وجزيرة سيلان. وكتب هذه الفرقة كُتِبَت باللغة البالية. وأشهرها "تري بتاكا" (TREPITAK) وهي مجموعة من ثلاثة كتب، وقد تأخر تدوين هذه الكتب أربعة قرون تقريباً بعد بوذا.

الفرقة الثانية: ماهيان - يعني العربية الكبيرة. ويقصدون بها أن من

انضم إلى عقيدة هذه الفرقة وركب على العربية الكبيرة مع جماعة "البهكشو" يحصل على "النرقانا"، وتؤمن هذه الفرقة بأن بوذا ليس له جسم، بل إنه نور مجسم، وظل ظهر في الدنيا وهو الإله الأكبر، وهو الإله الأزلي، وهذه الفرقة غرقت في بحور الشرك. فاتخذت من كل

راهب إلهاً من دون الله، واخترعت كثيراً من الرسوم والطقوس،
وتفلسفت في العبادات وطريق النجاة.

الغالب أن هذه الفرقة أسست في عهد الملك "كنشك" ووضعت
ضوابطها في المجلس الرابع.

انتشرت هذه الفرقة في الأرجاء الشمالية من الهند والتبت ومنغوليا
والصين واليابان. وأخذت كثيراً من معتقدات هذه البلدان، وأكثر
كتب هذه الفرقة كتبت باللغة السنسكريتية والصينية والتبتية واليابانية
ومن أشهر هذه الكتب:

"ديموندا سوترا" (DIMOND SUTRA) و"لنكا وتار سوترا"

(LANKA VATARA SUTRA).

العبادة عند البوذية

إن البوذية لا تعرف طريقة العبادات بالحركات فكل ما عندها هو:

١- الإكثار من الحمد والثناء على بوذا لحسنه وجماله وكماله على حد
زعمهم.

٢- التلذذ بذكره وتصوره في الخلوة والمجتمع، والدعاء بصيرورة نفسه
مثله في الحياة الثانية.

وتذكر اسم بوذا وتصوره من أعلى مراتب العبادات عند الرهبان

البوذيين.

وقد أدت هذه العقيدة إلى تعظيم الرهبان وعبادتهم، وفي اعتقاد البوذيين أن النجاة لا تحصل بمطالعة الكتب والتدبر فيها، بل لأبد من الأخذ عن الراهب الكامل الذي يبلغ درجة بوذا في التخلي عن الشهوات والرغبات. وهو الوحيد الذي يتولى كشف الأسرار^(١). وفي المرحلة الثانية يقوم هذا العابد مقام المعبود، والمعتقد مقام المعتقد، والمخلوق مقام الخالق، فلم يبق بينه وبين خالقه أدنى فرق. ومن هنا يدعي الألوهية لنفسه.

قارن بين هذه العقيدة عند البوذيين وبين عقيدة تصور الشيخ عند الصوفية. فإن السالك في التصوف يتصور شيخه غائباً أو ميتاً، ويرسم صورته على قلبه فلا يعمل شيئاً إلا بإذنه فكأنه يعيش معه. وفي المرحلة الثانية يتصور النبي صلى الله عليه وسلم، ويرسم صورته. وفي المرحلة النهائية يدعي وصوله إلى درجة إحسان.

(١) يعبر بعض العلماء عن هذه الحالة بقولهم: WANTLESSNESS يعني: المرحلة التي يصل الإنسان إلى الاستغناء الكامل عن الموجودات.

ترانيم البوذيين عند العبادة

أسجد للبوذا الإله الكامل، الذي انكشف له العالم.
أسجد للبوذا الإله الكامل، الذي انكشف له العالم.
أسجد للبوذا الإله الكامل، الذي انكشف له العالم.
أعوذ بالبوذا الإله.

أعوذ بالدين.

أعوذ بجماعة البهكشو^(١).

أعوذ بالبوذا الإله مرة أخرى.

أعوذ بالدين مرة أخرى.

أعوذ بجماعة البهكشو مرة أخرى.

أعوذ بالبوذا الإله مرة ثالثة.

أعوذ بالدين مرة ثالثة.

أعوذ بجماعة البهكشو مرة ثالثة.

أقبل حكماً لا إيذاء فيه.

أقبل حكماً لا سرقة فيه.

أقبل حكماً لا شهوة فيه.

أقبل حكماً لا كذب فيه.

أقبل حكماً لا سكر فيه.

(١) البهكشو: اصطلاح خاص لفقراء البوذيين ورهبانهم.

إشاعة البوذية

لم تكن الديانة البوذية قاصرة على أعلى طبقات المجتمع الهندي بل فتحت أبوابها لكل من أراد الدخول فيها، خلافاً للديانة الهندوسية. فانتشرت البوذية انتشاراً هائلاً ودخل فيها جمهرة من الهندوس من الطبقة الدنيا. واعتنق الملك "اشوكا" الديانة البوذية وجعلها ديناً رسمياً للبلاد، وأرسل الدعاة والمبلغين في داخل الهند وخارجها. وأرسل ابنه "ماهندرا" إلى جنوب الهند وسيلان فبلغت البوذية إلى شرق آسيا ووسطها ولم يكن آنذاك بين البوذيين والبراهمة خلاف كبير كما يقول السائح الصيني "فاهيانا" الذي زار الهند في القرن الخامس الميلادي يقول: (إن الشعب يكرم الرهبان البوذيين والبراهمة سواء بسواء. والمعابد لكل الطائفتين تبنى جنباً إلى جنب).

فلما طلع القرن السابع بدأت بعض النزاعات والخلافات فانعقد مجمع "قنوج" سنة ٦٣٤م بين أتباعهما. ففاز البراهمة في هذه المناظرات والمناقشات. وبدأوا يكسرون شوكة البوذية إلى أن جاء "شنكرا جاريا" سنة ٧٨٨-٨٣٠م وهو من كبار شراح "الفيدانت" ومن كبار دعاة الهندوس فأخرج البوذية من القارة الهندية. ويقال: إنه عمل بقوة عقله أكثر مما عمل "اشوكا" بقوة السلطة.

ثم جاء بعده نور الإسلام وتغلب على البقية الباقية فانهارت أمام هذا النور الإلهي الهندوسية والبوذية على حد سواء من السند إلى إندونيسيا وتايلاند، فاعتنق كثير من البوذيين والهندوس دين الإسلام.

الجينية

تاريخها وأهم معتقداتها

الجينية

لابد لأي باحث في الديانات الهندية من أن يذكر شيئاً عن الجينية مع قلة^(١) أتباعها، ولما لها من تأثير كبير في الديانات الأخرى في الهند.

موجز تاريخها:

يدعي أتباعها الجينيون أن دينهم قديم، كقديم العالم. والزعيم الأخير الذي جدد أصولها ونشر عقيدتها هو "مها بير سوامي" (٥٤٠-٤٨٦ ق.م) كان معاصراً لبوذا^(٢). فحصلت بينهما معارك كثيرة، ونقده بوذا في بعض خطبه ومواعظه وقد تقدم "مها بير سوامي" ثلاث وعشرون "تير شنكر" (الرسل الذين يعتقد فيهم الجينيون الألوهية) وهؤلاء هم:

RASHABHDEW

١- رشبو ديو.

(١) يبلغ عددهم في إحصائيات سنة ١٩٥١م (١٦١٨٤٠٥) نسمة، ولم تنتشر الجينية في خارج الهند لإحادها الواضح وفحشها في نظام الحياة كما سترى، كما أنها لم يكتب لها الشيوع والانتشار في أرجاء الهند، فانحصر الجينيون في منطقة "كجرات"، لهم فيها معابد ضخمة تعتبر من العجائب. ولفظ "جين" معناه الفاتح - يعني الذي غلب على شهواته ورغباته.

(٢) ويرى الدكتور "موهان لعل" أنهما وإن كانا متعاصرين إلا أنهما لم يلتقيا أبداً "جين دهرم درشن" ص ٨.

AJAT NATH	۲- أجت نات.
SHANBHU NATH	۳- شبونات.
NANADAN	۴- نندان.
SAMATI NATH	۵- سمت نات.
PADAM	۶- بدم.
SAPARISH NATH	۷- سپارشو.
CHANDRA	۸- چندرا.
SABADHI NATH	۹- سبدي نات.
SHEETAL NATH	۱۰- شیتل نات.
SHRI YANS	۱۱- شریانس.
SHRI BASODEW	۱۲- شري باسود يو.
SHRI BIMAL NATH	۱۳- شري بمل نات.
ANANT NATH JEE	۱۴- اننت نات.
SHRI DHARAM NATH	۱۵- شري درهام نات.
SHANTI NATH	۱۶- شانتي نات.
KANTH NATH	۱۷- کنت نات.
ARAH NATH	۱۸- ارانات.
MALI NATH	۱۹- مالي نات.
MUNI SWAMI	۲۰- مني سوامي.

NAMI NATH

٢١- نامي نات.

YANAM NATH

٢٢- ينام نات.

PARAS NATH

٢٣- بارس نات.

MAHABIR خاتم "تير شنكر".

٢٤- مهايبر.

وهؤلاء كلهم كانوا في فترة واحدة من الزمان وما بين كل اثنين منهم يستغرق ملايين السنين بل قد يعجز الرياضي عن ضبطه.

يقول "لالا ديوان جند" في كتابه "هل الجينية أزلية؟":

"إن هذه الدنيا قديمة أزلية لا بداية لها ولا نهاية فكذلك الجينية".

أولى الملاحظات على الجينية: أنها لا تعرف بدايتها ولا نهايتها، ولا تحفظ تاريخها، ثم افترقت إلى فرقتين كبيرتين وهما:

"الفرقة الدجاميرية"^(١).

و"الفرقة الشوتاميرية"^(٢).

ثم انقسمت كل منهما إلى قسمين. قسم يعبد الأصنام، وقسم يجرمها.

فالقسم الذي يجرم عبادة الأصنام من الدجاميرية يسمى "تاران بنتحص" ومن الشوتاميرية يسمى "داس".

(١) ومعناها أن لباسهم السماء يعني يفضلون أن يكونوا غُرَاءَ.

(٢) ومعناها الذين يختارون اللباس الأبيض "جَيْنَ دَهْرَمَ دَرُشَن" ص ١٩.

ملاحظة:

هذا التقسيم يهدم أصل الدين فإنه يخرق جذر العقيدة.

تدوين علوم مها بير سوامي:

بعد وفاة "مهابير سوامي" قام الحفاظ والرهبان يعلمون الناس "داود شانك" ^(١) من محفوظاتهم لقرب عهدهم. بمشدهم ولكن بعد مرور سبعة قرون، مضى الحفاظ الكاملون ولم يبق فيهم إلا من يحفظ بعض الأجزاء. فلما رأى "كند كند سوامي" ^(٢) هذا الضعف توجه إلى تدوين ما بقي في الحافظة، فدون عدة كتب ثم تلاه تلميذه "أوما سوامي" فصنف كتابا نال مرتبة التوراة والإنجيل عند الجينيين وهو المعروف إلى يومنا هذا باسم "تتوارت سوترا" (TATWARATH SOTRA) والآن يعتبر هذا الكتاب مصدراً وحيداً لتعليمات "مهابير سوامي" (هذه هي رواية الفرقة الدجامبرية).

أما رواية الفرقة الشوتامبرية فكما يقول مصنف كتاب "جين ست سار" إن "ديواردي" جمع نحو خمسمائة من علماء الجينيين في بلدة "بلهبي" في سنة ٤٥٣م أي بعد حوالي عشرة قرون، وأمرهم أن يدونوا ما بقي من حافظتهم في كتاب.

(١) التعليمات التي ألهمها "مها بير سوامي" حسب زعمهم.

(٢) كان ذلك في سنة ١٥٦م تقريباً.

النقد التاريخي:

بعد إيرادنا هاتين الروایتين يسهل علينا أن نقول:
إن تعليمات "مها بير سوامي" لم تصل إلينا كما هي، بل ضاع
منها جزء كبير. مرور الزمن. والذي بقي لا نشق بصحته التاريخية لأن
"ديواردي" لم يتأكد من صدق هؤلاء الحفاظ والرهبان الذين جاؤوا
من أنحاء البلاد، لأنه كان كلما سمع كلمة من فمهم أمر الكتاب
بكتابتها، والأهم من هذا كيف يثق أحد بسند هذا الكتاب المنسوب
إلى "ديواردي" مع أنه خال من أية وثيقة أو مستند تاريخي، فالعجب
من يؤمن بهذه القصص والأساطير والحكايات.

الاختلاف الأساسي بين الفرقتين الكبيرتين:

الاختلاف بين هاتين الفرقتين في أربع وثمانين مسألة ولكن أكثرها
جزئي ناشئ عن التفكير فنعرض عن هذا، ولكن هناك اختلاف
أساسي في ثلاثة أمور يهدم هذا الدين:

الأول: العلاقة الدنيوية:

إنه لا تحصل المعرفة الكاملة، والنجاة الدائمة عند الفرقة
الدجاميرية، إلا بأن يقطع الإنسان علاقته الدنيوية تماماً، بحيث يجتنب
اللباس وستر العورات. لأجل هذا نرى نساك الفرقة الدجاميرية

يعيشون عراة بخلاف الفرقة الشوتامبرية فإنهم لا ينقظعون عن الحوائج الضرورية من اللباس والفراش والعصا وغيرها.

فנסاك الفرقة الدجامبرية يكتفون بثلاثة أشياء وهي:

١- شاسترا (الكتاب المقدس عندهم).

٢- ومراح من ريش الطاووس لتكنيس الأرض وطهارتها.

٣- وإبريق للاستنجاء.

فما نرى من الصور العارية في الكتب الدينية، والمراكز الثقافية، والمطارات، والمحطات، والمعابد، والاحتفالات، كلها تعبير عن الفرقة الدجامبرية.

أما نساك الفرقة الشوتامبرية فيرمون على وجوههم ثوباً عند الكلام وفي السفر، بخلاف الفرقة الدجامبرية فإن نساكها يجتنبون الثياب كلياً، ويأكلون مرة واحدة في اليوم واليلة، ولا يستعملون الأواني، بل يضعون الطعام على أيديهم، ثم يأكلونه بخلاف نساك الفرقة الشوتامبرية فإنهم يأكلون مرتين في الأواني.

هذا الاختلاف الأساسي في حياتهم الدنيوية وعلاقتهم بها.

الثاني: الخلاف في حصول النجاة للمرأة:

إن الفرقة الشوتامبرية ترى أن المرأة تحصل لها النجاة في قلبها النسائي، بينما ترى الفرقة الدجامبرية أنها لا تحصل لها النجاة، لأن في إبطها جرثومة صغيرة تموت بحركتها، وكذلك أنها تنجس كل شهر

بحيـض، فلا تقدر على المراقبة التامة مع عدم تجنبها من اللباس كلياً فتلزم عليها ولادتها بقلب الرجل في الحياة الثانية وهكذا...

الثالث: العارف الكامل:

إن الفرقة الدجامبرية تعتقد أن العارف الكامل لا يلحقه الجوع والعطش والمرض في حياته الدنيوية خلافاً للفرقة الشوتامبرية. هذه هي الفروق الأساسية بين هاتين الفرقتين، أما الجزئيات والفرعيات فهي كثيرة لا تحصى نتركها إشاراً للإيجاز.

العقائد الرئيسة عند الجينيين:

- ١- إن الدنيا ثمرات الروح والمادة، وليس لها خالق ومدبر خارج عنها
- ٢- إن العلاقة التي نجدها بين الروح والمادة هي نتيجة "الكارما" لأن "الكارما" تعيد الروح إلى الدنيا مرة بعد مرة.
- ٣- لا تتخلص الروح من العودة إلا بالإيمان الصحيح، والعلم الصحيح، والعمل الصحيح، ويسمى هذا التخلص "المكتي" أي النجاة.
- ٤- الروح الناجية هي "برماتما" وقد تعود بعد النجاة إلى الدنيا لإضاءة السبل للسائرين، فالواجب على الإنسان أن يجتهد في تخليص روحه من العودة.

٥- الدنيا مركز الأرواح، ومستقر لها، وتسلسل الأرواح في الدنيا غير منقطع.

٦- "أهنسا برمو دهرما" (أفضل الدين ترك الإيذاء).

٧- يجب على الراهب الجيني أن يختار حياة "برما جاريا" يعني البعد عن المرأة والتطيب والتزين.

٨- السيطرة التامة على الحواس الخمسة، لأنها هي التي تجعل الإنسان يعيش حياة شهوة ورغبة في الدنيا وبالتالي لا يحصل له "النرفانا".

الألوهية عند الجينيين:

إذا فكرنا في العقيدة الأولى نجد أن الجينيين لا يعتقدون بوجود خالق الكون ومدبره، بل يعتقدون أن الدنيا نتيجة للعلاقات التي كانت بين الروح والمادة. فهي قديمة قدم الروح والمادة، لأنها لم تكن معدومة فأوجدها موجد، بل كانت موجودة من الأزل بشكل آخر فتشكلت بهذا الشكل لأجل العلاقة الجديدة.

وعلى هذا الأساس يقول بعض العلماء: إن الجينية هي رد الفعل للبراهمة.

ولكن الجينيين ينكرون هذا ويقولون: نحن لا ننكر وجود الخالق، بل ننكر صفته الخالقة والمدبرة، لأن وجوده ليس خارجا عن الدنيا.

يقول العالم الجيني "بي آر كين": "إن الجينيين لا يعتقدون بمعبود أزلي قديم، موجود في كل زمان ومكان، عالم بكل صغيرة وكبيرة،

قادر على كل شيء، وخالق الكون والحياة، بل يعتقدون بالأرواح الناجية التي خلصت من العودة وحصلت على "الترفانا" فبلغت درجة الإله".

ويفهم من هذا: أن عدد آلهة الجينيين كعدد الأرواح الناجية. ولذا نرى أن الجينيين يعبدون "تير شنكر" الأرواح الناجية بقولهم: "أنا أسجد أمام "تير شنكر" الذي هو معبود، وهو الذي يمنح المخلوقات الأمن والراحة. ياليت لو حصلت على "الترفانا". محض التفاته وكرمه".

سبحان الله عما يصفون، فروا من إله واحد، فوقعوا في أيدي آلهة كثيرة.

طبقات الرجال عند الجينيين:

إن الجينيين يقسمون رجالهم إلى خمس طبقات:
الطبقة الأولى: أرهت: هي الأرواح الناجية التي حصل لها علم كامل، ومعرفة تامة، فوصلت إلى درجة المعبود في الحياة الدنيا قبل موتها الطبيعي وهم أربعة وعشرون كما سبق ذكرهم.

الطبقة الثانية: سدها: الأرواح التي نجت من تكرار العودة إلى الدنيا، ووصلت إلى مقام النجاة بعد موتها الطبيعي وهم أيضاً أربعة وعشرون.

الطبقة الثالثة: آجاريا: هو رئيس الرهبان وقرب إلى النجاة.

الطبقة الرابعة: أباديا: هو الراهب المرشد يتجول في البلاد ويكون تابعا لـ "آجاريا".

الطبقة الخامسة: سادو: هو الراهب والناسك العادي الذي ابتداءً بحياته الجينية.

فلسفة عبادة الأصنام عند الجينيين:

إن المبتدئين الذين بدأوا حياتهم الرهبانية مثل الطبقة الخامسة، لا يقدرون على استقرار الفكر، ودوام الذكر والمراقبة، لعدم تمكنهم من تركيز القلوب على تصور المعبود، فاحتاج هؤلاء إلى إله ظاهر. فلما عرف علماء الجينيين مشكلتهم أذنوا لهم في نحت الأصنام التي تحمل الأوصاف المطلوبة فتوجهت كل فرقة إلى نحت معبودها وفق اعتقادها. فالفرقة الدجامبرية مثلاً تنحت معبوداتها عراة لتصور تخليهم عن الضروريات الدنيوية بخلاف الفرقة الشوتامبرية.

هذه هي بداية عبادة الأصنام في الديانات الهندية، لأننا لا نجد ذكر الأصنام وبناء المعابد في تعليمات "الفيدات" و"بوذا" فكلا المذهبين تأثرا بالجينية.

أما الآن فقد صارت عبادة الأصنام عند الجينيين من الأمور الضرورية المستحسنة. فإن علماءهم يتأسفون على الأجيال الجديدة التي تركت عبادة الأصنام، ويوجهون نقدهم إلى الإسلام، لأنه هو الذي

حرم بناء الأصنام، وعبادتها أول مرة في تاريخ الديانات الهندية.
هنا يسأل القاري: إن الجينيين لا يعتقدون بصفة من صفات الله تعالى فعلى أية صورة يصنعون أصنامهم؟
نقول: هم لا يصنعون صورة الإله الذي ينكرون وجوده بل يصورون حياة الأشخاص الذين نحت أرواحهم من عودتها إلى الدنيا مثل ديو جي، وبارش بات جي، ومها بير جي، وسومناات جي^(١)، وغيرهم من الأشخاص وهؤلاء الآن هم أكبر الآلهة عند الجينيين.

أثر الجينية على الهندوسية والبوذية:

لقد تأثرت الهندوسية بالجينية في كثير من تشريعاتها وعقائدها، وذلك يرجع إلى عدم وجود العقائد الرئيسة كما بينت من قبل. وأذكر هنا بعض العقائد والطقوس التي أخذتها الهندوسية والبوذية من الجينيين:

- ١- عبادة الأصنام وبناء المعابد: إن الهندوسيين ما كانوا يعرفون عبادة الأصنام وبناء المعابد في عصور "الفيدات" وكذلك البوذيون بل أخذوا ذلك من الجينيين حذواً بحذو.
- ٢- أهْنَسَا: إن تعليمات "الفيدا" تصرح بذبح الخيل والجاموس والبقر.

(١) هذا هو الصنم الكبير الذي هدمه الفاتح المسلم محمود الغزنوي المتوفى سنة

فجاء الجينيون وحرّموا ذبح الحيوان، وقتل الجراثيم التي تطير في الهواء، وإلى هذا يشير أبو العلاء المعري تأثراً بالجينيين لا بالبوذيين كما زعم بعض المؤرخين.

فالديانة الهندوسية حرمت على أهلها ذبح الحيوان وخاصة البقرة. والآن هم كذلك يفتخرون بقولهم "أهنسا برمود هرما".

٣- مسألة التناسخ أو جولان الروح: لقد أثبتنا قبل هذا أن "الفيدا" صرح بوجود الجنة والنار، فجاء الجينيون وأثروا على الهندوسية والبوذية فاستصعب على هؤلاء الخروج من عقيدة التناسخ.

٤- الرهبانية: لقد تقدم البحث في أعمار الإنسان في الهندوسية فالقسمان الأولان يتعلقان بالحياة الأهلية.

أما الجينية فتحت على ترك العلاقات الدنيوية، والتمسك بالحياة الرهبانية. فتأثر بها النساك الهندوسيون والبوذيون وتركوا العلائق الدنيوية، واختاروا الحياة الرهبانية.

٥- العزى: لا نجد فكرة العري في الهندوسية والبوذية، ولا شك أنها جاءت من الجينية، وأخذها النساك الهندوسيون والبوذيون. والآن هم الذين يحتفلون كل سنة ويتجولون في الشوارع عراة. ولكن الحكومة الهندية منعتهم عن ذلك في القرى والمدن. وبعد احتجاجهم الشديد سمحت لهم أن يحتفلوا في الصحاري والغابات. هذه هي النحلة الجينية وعقيدتها. أوجزتها قدر المستطاع مع أن

تفصيلها يستغرق آلاف الصفحات. وهذه المباحث سهلة التناول تعود غامضة، فأرجو أن يكون فيها كفاية لطالب الحق الذي دأب على المقارنة بين الحق والباطل والغلث والسمين، والأخذ بما هو نافع له في الدنيا والآخرة.

فسبحان الذي أنزل آيات بينات في كتابه المبين، يستوي في فهمه الحضري والبدوي، ويستفيد قدر الحاجة العالم والجاهل. وأشكر الله على نعمة الإسلام وكفى بالله نعمة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

السياسة

تاريخها وأهم معتقداتها

الجو الفكري عند ظهور السيخية

إن أرض الهند أشرقت بنور الإسلام في فجر تاريخه، فلم تنزل من ذلك اليوم محط رحال المسلمين من الغزاة والفاحين والعلماء والدعاة، فترعرعت العقائد الوثنية المنتشرة في ربوع الهند أمام هذا التعليم الرباني، واللفظ الإلهي الذي أحاط بأرجائها والزحف المبارك الذي قاده الفاتحون المسلمون، فلم تكد أوثانهم وأصنامهم تحفظ معابدهم ومراكزهم الدينية من الهدم والخراب.

فيس الهنادك والبوذيون والجينيون من مصيرهم، واضطرب كيانهم الديني، وسُلِّتْ رئاسة الرهبان والنساك، فظهر في هذه الآونة على مطلع الهند بعض المصلحين الهنادك من الشعراء والأدباء، وتوجهوا إلى رفع مغنوياتهم بتوجيههم إلى حب "برهما" وعشقه الذي لا يتصور، ولا يدرك، ولا يهدم، ولا يكسر، ولكن طبيعة الهنادك لم تقبل هذا التعبير الشعري لكونها اعتادت عبادة الآلهة المنحوتة من الأحجار، وكلتا الفكرتين اتخذتا سبيلين مختلفين.

أ- طريقة المعرفة:

هذه الطريقة لا تؤمن بالعمل الصالح، بل كل ما عندها هو الحصول على العلم والمعرفة، لأنها تعتقد أن الحياة غير كافية لمعرفة حقيقة الرب سبحانه وتعالى فضلاً عن عبادته وطاعته.

وكان الشاعر الهندي النساج يدعى "كبير داس" (١٤٤٠-
١٥١٨م) وهو من الرسل الاثني عشر التابعين لمدرسة "رامانندا"
(١٣٦٠-١٤٥٠م) (RAMANANDA) من أكبر الدعاة إلى هذه
الطريقة لسبب ولادته في بيت برهمي، ونشأته في بيت أحد المسلمين،
فخالف الجميع في طريقة فكرهم، وكان يدعو إلى التفكير في ذات الله،
ويصفه بأنه لا يدرك ولا يتصور، فلماذا هذه العبادات والتقاليد والقرايين.
وأظنه أول من دعا إلى وحدة الأديان في تاريخ الهند وكان يؤمن
بعقيدة الحلول والاتحاد التي بلغت أوجها وكمالها بعد "شنكرا جاريا"
(٧٨٨-٨٢٠م). وأنقل هنا قطعة من أشعاره لتوضيح فكرته:

يقول:

أبـن تـبـحـث عـنـي وأنا عـنـك * لا تـجـدني في الغـم ولا في البـقـرة
ولا في السـكـين ولا في الكـدوم * ولا في جـلد الحـيوان ولا في لـحـمـه ودمـه
ولا في العـبـادـات ولا في الرهبـانيـة * فإذا تـبـحـث عـنـي وجـدـتـني في لـحـة واحـدة
يقول "كبير داس": (اسمعوا أيها النساك والرهبان، أنا أجري مع
كل تنفس. وأنا موجود في كل مكان).

وكان نقده على الهندوسية إذ يقول:

(إن الدنيا مخبوءة تعبد الصنم المنحوت من الحجر، ولا تعبد حجر
الرحى الذي يؤكل من طحنه).

وكان يأخذ الشيخ المربي وسيلة للحصول على المعرفة لاعتقاده أن
الله قد حل فيه.

إذ يقول:

(رأيت الشيخ والرب واقفين بين يدي، فحررت ساجداً للشيخ
الذي دلني على الرب).

وقد انتقد تقاليد الهنادك وطقوسهم نقداً شديداً وله أفكار غريبة لا
يسع المكان استيعابها.

هذا هو الرجل الذي تأثر به مؤسس دين السيخ "نانك" في فكرة
وحدة الأديان وهذا يتضح فيما بعد بجلاء.

ب- طريقة العشق والمحبة:

هذه الطريقة تتفق مع الطريقة الأولى في حصول العلم والمعرفة إلا
أنها لا تقف عند هذا الحد، بل تخطو خطوة يزيد عليها الحب والعشق
وكان "الشاعر جائس" من كبار الدعاة إلى هذه الطريقة وله ديوان
معروف بـ "بد ماوت".

ج- تمثيلية رامبا:

وهذه الطريقة لا ترضى بالتصورات المجردة فحسب، بل تنتخب
شخصية محبوبة وتجعلها بمثابة الإله المعبود، وذلك لتركيز الذهن والفكر
في المراقبة وعدم تشتت ذهنه، وكان من رأيها أن شخصية "رامبا" هي
التي تمثل أسوة حسنة ويعتبر "تلسي داس" (١٥١٧-١٦٤٣ م) من
أكبر شراح هذه الطريقة فإنه أبرز شخصية "رامبا" بصورة الابن
المودب، والزوج السعيد، والأخ الكريم، والصديق الحميم، والحاكم

العادل - إلى غير ذلك - (وقد أوضحت الكلام في "راما" ووجوده التاريخي في الديانة الهندوسية).

د- تمثيلية كرشنا:

هذه الطريقة تتفق مع التي قبلها إلا أنها تخالفها في اختيار الشخصية للأسوة، فـ "تلسي داس" انتخب "راما" و"سورداس" (١٥٠٧-١٥٨٣م) انتخب "كرشنا" ولف حوله من الأساطير والقصص. هذا هو الجو الاجتماعي والفكري الذي ولد فيه مؤسس دين السيخ "نأنك" (١٤٦٩-١٥٣٨م) في إحدى القرى التابعة بمديرية "لاهور" في منطقة "بنجاب" في بيت هندوسي من طبقة "الكشترى" وكان من صغره محباً للخلوة والعزلة، ولازم بعض المتصوفين من المسلمين مثل حسين درويش، والشيخ إسماعيل البخاري، وعلي هجويري، وبابا فريد كنج، (١٤٥٢-١٥١٠م) وجمال الدين البخاري وغيرهم، وأسس ديناً مُمتزجاً بين الأديان جميعاً وكان من مريدي "كبير داس". وينسب إليه كتاب "كرو كرنتها صاحب"^(١) الذي نال مرتبة الاحترام والتقدير لدى جميع السيخيين، وهو مملوء بالأمور المتناقضة والعقائد المتضاربة، وفيه مزج غريب بين الإسلام

(١) يقول "كيرنار سينغ" : (الذي ألف "كرو كرنتها صاحب" هو "أرجن" أسلاه على "كرداس جي" ما بين ١٦٠٦-١٦٨١م وفيه مائة وأثنا عشر شعراً لـ "بابا فريد كنج" كما أنه يشتمل على مجموعة كبيرة من أشعار "كبير داس".

والهندوسية والبوذية وغيرها من أديان الهند.
ويظهر من مطالعة هذا الكتاب أن صاحبه حاول أن يجعل نفسه في
درجة رفيعة، ليكون مطاعاً من جميع أصحاب الأديان والملل على
اختلاف طرقهم ومناهجهم، ولكن هذه المحاولة فشلت في بدايتها، فإن
السيخية ظهرت في المجتمع الهندي كالقوة الثالثة المحاربة من الهندوسية
والإسلام في حين واحد.

وهنا أذكر بعض عقائد السيخيين التي اقتبسوها من الهندوسية:

١- وحدة الأديان:

لقد سبق إلى "نانك" الكتاب المقدس عند الهنادك "البهلفت كيتا"
بقوله: (بأية طريقة تعبدوني فأنا أحفظكم بنفس الطريقة، الناس
يختارون لعبادتي أشكالاً مختلفة فكل طريق يوصلكم إلي).
وفي "الفيدانت":

(إن "الفيدانت" لا يخالف أي فكر سواء أكان دينياً أو فلسفياً).
وهذه الأفكار لا تزال سائدة في أفكار الهنادك، فهم يقبلون بكل
بساطة العقائد المتناقضة بدون حرج ومناقشة، ولهذا نجد فيهم من يؤمن
بالتوحيد، ومن يؤمن بالتثليث، ومن يؤمن بالآلهة الكثيرة، وفيهم من
يحجد الألوهية أصلاً، وهم جميعاً في ربة الهندوسية، فإن الولادة تحتم
عليهم البقاء في ملتهم ونحلتهم، ولا يمكن لشخص أن يخرج من طبقة
إلا ينتقل الأرواح من جسم إلى جسم آخر، ومن طبقة إلى طبقة

أخرى. هذا هو مبدأ فكرة وحدة الأديان في تاريخ الهند.

وقد استغل "نانك" هذه الفكرة وأراد أن يعيدها إلى أذهان الهنادك مرة أخرى إلا أنه بكمال سياسته ضم إلى فكرته دين الإسلام وأخذ منه بعض العقائد التي رأى أنها تتفق مع الفطرة البشرية، وليس هذا إلا نزعة نفسية جرت به إلى ذلك للحصول على الزعامة الروحية من جميع أصحاب المذاهب والأديان.

يقول "نانك": (إن الهنادك لهم ست مدارس فكرية، وكل مدرسة لها مؤسسها والمنتمون إليها، وجميع المؤسسين ينهلون من معين واحد وإن اختلفت مظاهرها وتقاليدها وعاداتها. فأية مدرسة تؤمن بالخالق وعظمته وقدرته فاقبلها كأنها هي ضالتك المنشودة. فإن في ذلك تطورا ورقيا. ألا ترى أن الشمس واحدة والجو مختلف. أيها نانك: إن الله واحد، وإن اختلفت أشكال عبادته، وتعددت مظاهر خلقه^(١)).

ويقول الزعيم السيخي "كوبند سنغ" :

(لا فرق بين مندر "معبد الهنادك" ومسجد "مصلى المسلمين" وبين عبادة الهنادك وصلاة المسلمين).

ونقول لهذا الزعيم: إن معبد الهنادك ومصلى المسلمين لا يستويان في غايتهما وقصدهما، حتى ولا في مظهرهما فإن المعبد مركز الأصنام والأوثان وتطهر أرضه بروث البقرة وبولها، بخلاف مصلى المسلمين فإنه خصص لعبادة الله وحده، وتطهر أرضه بالماء والتراب.

(١) باب: راك اسا - كروكرتها صاحب.

وإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَن الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١).
أما العبادة عند الهنادك فإنما هي عبارة عن الرقص والموسيقى والغناء
والسجود للأصنام والأوثان وفعل الأعمال القبيحة مثلاً مس النساء
ذكر الرجل لطلب الأولاد وهو ما يسمى عندهم بـ "لنك بوجا".
بخلاف صلاة المسلمين فإنها عبارة عن الذكر والتسبيح، والخشوع
والخضوع لله الواحد القهار، بقلب سليم ولسان طاهر ولباس نظيف.
فأننى لهذا الزعيم أن يسوي بين "مندر" ومسجد، وبين عبادة
الهنادك وصلاة المسلمين؟ ولكنه مشي على فكرة "نانك" الذي يحلم أن
يرى في كل شيء الوحدة والوفاق.
يقول "نانك": (من الصعب أن يكون الرجل مسلماً حقيقياً، ولكن
إن وُجد نُحلي سبيله).
يقصد بهذا أنت لا ترفض أي شخص سواء كان سيخياً أو مسلماً
إذا قبل أفكارك.
نقول لهذا الزعيم: إن المسلم الحقيقي إذا قبل خرافاتك وترهاتك
فقد خرج من الإسلام، فإن الإسلام يرفض بكل قوة الأفكار الدخيلة
بأية صورة تكون.
يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الجن: الآية ١٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

قِيسَاتُ السِّيخِيَّةِ مِنَ الْهُندُوسِيَّةِ

أكثر ما تأثرت به النحلة السِّيخِيَّة هي الهندوسية المنتشرة في شبه القارة الهندية، إلا أنها لم تأخذ بها بخدافيرها بل حاولت أن تُهذِّبَهَا مستعينة بالتطورات الجديدة، والأفكار الشخصية. والديانة الهندوسية كما بينت من قبل خالية من العقائد الرئيسة، فلم تعارض الأفكار السِّيخِيَّة الغربية الواردة عليها، بل قبلتها بكل بساطة وسذاجة، واعتبر الهنادك الفرقة السِّيخِيَّة جزءاً منهم. وأذكر هنا بعض العقائد الَّتِي اقتبستها السِّيخِيَّة من الهندوسية:

أ - مقصد الحياة:

مقصد الحياة عند الهندوسية المعروفة بين الجماهير هو حصول "النرفانا" أي -اتحاد الروح ببرهما والنجاة من جولانها وتنقلها- أخذت السِّيخِيَّة هذه العقيدة، إلا أنها لما تأثرت بالإسلام وعرفت مشكلة إقامة الحجَّة عليها أضافت إليها (إلا أن يشاء الله العليم القدير فينجيها من هذا التنقل بلطفه وكرمه).

ولا شك أن هذا الاستثناء غير وارد في عقيدة التناسخ، وإلا فيلزم من هذا أن ينجو غير برهمي من التناسخ. وهذا وإن قال به بعض علماء الهندوس إلا أنها ليست عقيدة الجماهير.

ب- عقيدة الحلول والاتحاد:

كانت هذه العقيدة سائدة في الهند منذ عهد بعيد. ويعتبر أرقى الناس في الهند وأعمقهم فكراً عند الهندوس من عرف حقيقة (AIR MEWADWITEA) يعني هو فقط لا ثاني له، وهذه هي غاية الفكر الهندي كما يوضح "الفيدانت".

أن الخطوة الأولى: أن تعرف الخالق بمعرفة مخلوقاته.

والخطوة الثانية: أن تميز بين الخالق وطبيعة الكون.

والخطوة الثالثة: أن ترى الوحدة بين الخالق وطبيعة الذرة التي خلق منها هذا الكون.

والخطوة الرابعة: وهي الغاية العظمى عند الهنداك أن ترى أن ذرة التخليق تتلاشى في ذات الخالق، لأنها هي هيولى الكائنات، ومصيرها الاتحاد بعلّة العلل.

ولهذا لا يستنكر "الفيدانت" على من يدعو مع الله إلهاً آخر.

وقد ظهر على الفكر الهندي رجل فلسفي وهو "شنكر جاري"

(٧٨٨-٨٢٠م) شارح مشهور لـ "الفيدانت" وروج هذه العقيدة في

أوساط الناس، وبرهن لها بالدلائل والوجدان، فانتشرت هذه العقيدة

في ربوع الهند. وكثر المؤمنون بها من الهنداك والبوذيين والجينيين فما

يزال نساك الهنداك وزهبانهم يغالون في صنوف التعذيب الجسدي،

ويحتملون المشقات اختياراً وزهداً ويفنون حياتهم في ذلك للحصول

على غايتهم وهي الاتحاد والحلول.

وقد كان من أقوال "شنكر جاريا": (إن "الروح" و"برهما" و"الكون" شيء واحد، ولكن نحن فرقناهم وميزناهم لعدم معرفتنا بهم، فلو نزهنا أنفسنا من الشهوة والغضب، والحرص والتكبر، واشتغلنا بحصول المعرفة لوجدنا هذه الأشياء الثلاثة متحدة).

ويقول أحد شراح "الفيدانت": نحن لا نستطيع أن نرى الله لا في كنهه، ولا في مخلوقاته، لأننا ابتلينا بـ(مايا) أي الخدعة التي تحيطنا من جميع جوانبنا، وهي دائمة تذكرنا بالأنانية (أنا) فلو محونا هذا الفرق، وحررنا أنفسنا بما يحبه الله ومرضاه، وجدنا كيف نتلاشى، ونتحدا في ذاته العظيمة اتحاد الأمواج في عمق البحار^(١).

هذه هي ترهات "شنكر جاريا" وزملائه أخذها "نانك" مؤسس السيخية بحذافيرها يقول في "كروكرنتها صاحب":

(أنت القلم وأنت الخط، وأنت الخبز وأنت الطاولة).

يقول "نانك": (فقط أنت لا غيرك).

ويقول في موضع آخر: (أنت السمك، وأنت الشبك، وأنت

الصيد، وأنت فقط أنت لا غيرك).

هذه هي عقيدة السيخ في ذات الله سبحانه وتعالى.

وإن السيخيين قد خدعوا المسلمين بدعواهم أنهم يؤمنون بالتوحيد

(١) انظر هذه التفاصيل وغيرها في شروح "الفيدانت".

كما أقره الإسلام، ولكن أين التوحيد النقي الصافي من هذه العقيدة الضالة المضلة الداعية إلى الاتحاد والحلول.

ج- أساطير الهنادك:

يدعي السيخيون أنهم يؤمنون بالتوحيد ولا يشركون بالله أحداً، بل هم أول من فهموا معنى التوحيد، لأنهم اقتبسوا أجزاء الميثقة من الأديان المختلفة فنقوه من شوائبه، وأقاموا عليه براهين عقلية، وأدلة وجدانية، لم يسبق إليها أحد. ولكن المتأمل في كتبهم يستغرب لما يرى فيها من خرافات وأساطير تهدم فكرة التوحيد أصلاً.

إليك بعض ما قال به "نانك" في كتابه "كروكرنتها صاحب": (إن برهما خرج من سرّة "وشنو"، وبدأ يرتل أشلوك "الفيدا" ولكنه لم يدرك نهاية الرب فبقي في ظلمات الجولان). (راجع راك تجري باب). ويقول في موضع آخر:

(هو: "وشنو" هو: "شيو" هو: "برهما" هو: "باربتي" هو: "لكشمي"^(١)) فالذي يريد أن يعبر عن الرب يصمت ويكتم، لعدم معرفته به، وبهذا يشهد "البران" وكرشنا والبوذيون والرهبان وأن "دهرما ديوا" يحمدك ويثني عليك... (باب جب جي).

هذا الباب هو فاتح الكتاب المقدس عند السيخيين يرتلونه كل

(١) هولاء من آلهة الهنادك.

صباح ومساء. وليس فيه شيء من التوحيد، إنما هو عبارة عن أساطير الهنادك، وأسامي أصنامهم، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على استغراقهم في الشرك بالله عز وجل، وأما التوحيد الصحيح فإن السَّيِّئِينَ لم يفهموه حق الفهم، فلو رجعوا إلى الإسلام لوجدوا بغيتهم فيه.

د - الغناء والموسيقى:

إن الرهابات الهندوسيات يعبرن عن شوقهن وحُبهن للإله المعبود بالرقص والغناء والموسيقى، والآتي اشتهرن بـ "كوبيات" من زمرة عاشقات "كرشنا" ومن بعدهن ممن أظهرن العشق والحب له. "ميرابائي" المولودة سنة (١٥١٦-١٥٤٦م) التي كانت تدور مع الرهبان والنسك في المعابد والخانقات، وتُسحرهم وتُسكرهم بصوتها الجميل، وألحانها الجذابة، وكانت تضرب "كرتال" (هو نوع من آلة الموسيقى) وترقص أمام تمثال "كرشنا" وتنقل من معابد "برندا" و"داركا" (المدينتان اشتهرتا بتمثيل كرشنا).

هكذا دخل الغناء والموسيقى في تكوين الفكر الهندوسي. وعلماء الهنادك وفلاسفتهم اتخذوا الموسيقى وسيلة للتعبير عن تخليق الكون ووجوده من عدمه، فهم يسمعون هذه الألحان في جميع أجزاء العالم.

ولم تكن الفكرة السَّيِّئَة في جانب من هذه الفلسفة، فقد كان

مؤسسها "نانك" يجيد الموسيقى إلى حد الإعجاب، واتخذها وسيلة لنشر مبادئه حتى رتب كتابه "كروكرنتها صاحب" على ترتيب الألحان الغنائية التي بلغت واحدا وثلاثين لحناً.

ونجد في آخر الكتاب فهرساً طويلاً لهذه الألحان، ولكل لحن خمسة فروع وثمانية أصوات (عبره "نانك" بالزوجات والأولاد) هذا هو الكتاب المقدس عند السيخيين.

يقول الدكتور "جوبال سينغ" أحد رجال السيخ:

(أكثر أساتذة^(١) السيخيين كانوا يجيدون الموسيقى، وإن المؤسس الأول "نانك" كان يغني في المجمع بصوت جميل، ويلزمه رجل من المسلمين يضرب على الطبل بالخشب، ورتب كتابه بالشعر والترنم، حتى عرف دين السيخ بالموسيقى التي لها تأثير كبير في عباداتهم وأداء واجباتهم الدينية، وهو جزء لا ينفك عن السيخيين واشتهر هذا الدين بين الناس بالجمال والحسن. فكل سيخي أو سيخية تجري الموسيقى في أجسامهم كما يجري الدم في عروقهم...).

هكذا نجد تأثير دين السيخ بالهندوسية، وأخذ فلسفة الموسيقى والترنم منها. وزاد على هذا التفكير الهندوسي أشياء لم تكن معروفة من قبل.

هذه هي بعض الأمور التي تأثر بها دين السيخ بالهندوسية.

(١) يقصد بهم المصلحين العشر الذين أكملوا دين السيخ.

وأما الأمور التي خالفها فهي كثيرة، أذكر بعضها:

١- لا تحصل النجاة عند السيّحيين من "كرما مارج" (الطقوس وتقديم القرابين) ولا من "كيان مارج" (الاستغراق في حصول العلم والمعرفة) بل من عبادة الله الواحد واتباع طريقه.

لا شك أن السيّحية هنا تأثرت بالإسلام أكثر من الهندوسية، فإنها لا تعرف معنى العبادة بل "كرما مارج" و"كيان مارج" هما طريقتان أساسيتان عند الهندوس وعليهما مدار النجاة^(١). والإسلام يدعو إلى العبادة والاتباع. انظر قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِن أَرْضِي وَاسِعَةً فَيَايَا فَاغْبُدُونِ﴾^(٤) إلى غيرها من الآيات الكثيرة في معنى العبادة.

وفي معنى الاتباع قال عز وجل: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى:

(١) وأما للحصول على "النرفانا" فيضاف عليهما الطريق الثالث وهو "باكتي

مارج" يعني الرياضة والمجاهدة.

(٢) سورة الاسراء الآية ٢٣.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٤) سورة العنكبوت الآية ٥٦.

(٥) سورة الأعراف الآية ٣.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١)، إلى غيرها من الآيات.
٢- السَّيِّئَةُ تحرم الرهبانية، وتحظر على أتباعها الخروج من الدنيا وتركها كلياً، بل تحث الناس على الاشتغال بكسب الرزق بخلاف فقراء الهنادك والبوذيين والجنيين الذين يرون أن الدنيا هي مصدر الشر. ولا شك أن هذه الفكرة أقرب إلى الإسلام من الهندوسية.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٢).

ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

وهناك أحاديث كثيرة تحث المؤمنين على اكتساب الرزق، وتمنعهم من التواكل والتكاسل والتسول من الناس، منها: حديث معروف يرويه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة الزمر الآية ٥٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٧.

(٣) سورة الجمعة الآية ٩.

وسلم: ((والله لأن يأخذ أحدكم حَبْلًا فيَحْتَبِطَ على ظهره، فيأكل أو يتصدق، خير له من أن يأتي رجلاً أغناه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليدَ العليا خير من اليد السفلى)) متفق عليه.

٣- تنقلُ الأرواح مرةً بعد أخرى إلى الدنيا ليس بحتم بل قد ينجو الإنسان من التنقل أحياناً بمحض لطف الله وكرمه.
لا شك أن النجاة بلطف الله وكرمه غير معروفة في الهندوسية والبوذية والجينية.

٤- المساواة بين الرجال والنساء في العفو والمغفرة بخلاف الهندوسية، فإنها تعتبر المرأة أساس كل شر، والجينية تُوجبُ عليها ولادتها في قالب الرجال لحصول النجاة لها.

والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).
فالإسلام لا يفرق بين الرجال والنساء بل يعتبرهما نوعين مختلفين يُكَمِّلُ أحدهما الآخر.

٥- السيِّخية لا تقدس لغةً من اللغات المختلفة، بل عندها جميع اللغات على سواء. فإن الرب يسمع خواطر القلب بخلاف الهندوسية التي تقدس اللغة السنسكريتية وهي لغة "الفيدات" يخاطب بها "برهّما"

عبادته ولا يقبل عبادتهم إلا بها. وهي الآن من اللغات الميتة في الهند، حتى علماء الهنادك فيما بينهم لا يتخاطبون بها فضلاً عن غيرهم.

والقرآن الكريم يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

وقد أنزل الله كتابه الأخير بلسان عربي مبين يقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

٦- إن الرب لا ينظر إلى قوم دون قوم بل دينه للجميع، فمن أخذ به نجا، والهندوسية لا تقر بذلك فإن البراهمة هم قوم مقدسون عند الرب وهم الذين يقومون بعبادته وتقديم القرابين له.

والقرآن الكريم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

وفي الحديث المشهور يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة))^(٤).

(١) سورة إبراهيم الآية ٤.

(٢) سورة الزخرف الآية ٣.

(٣) سورة البقرة الآية ٢١.

(٤) رواه البخاري في حديث طويل في كتاب التيمم (رقم ٣٣٥)، وفي كتاب

الصلاة (رقم ٤٣٨).

٧- السَّيِّئَةُ تعارض فكرة الأفتار (وهي أن ينزل الرب بصورة البشر لإنقاذ عباده الصالحين) وتؤيد عقيدة الرسالة والنبوة التي أقرها الإسلام. يقول الله تعالى مخاطباً نبيه أن يعلن في الناس: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(١).

إلا أن السَّيِّئِينَ لم يستقروا طويلاً على هذه العقيدة بعد وفاة مصلحهم، بل سرعان ما ألَّهوا أساتذتهم، ومُصلحيهم، فبدأوا يعبدونهم من دون الله فوقعوا في شرك وكفر أكثر من غيرهم، فإن مُصلحهم هو الأمر والنهي، وهو المشرع وكلامه مقدس، وتذكُّره في المراقبة أفضل العبادة.

هذه هي بعض الأمور التي خالف فيها السَّيِّئُونَ عقائد الهندوس.

قياسات السيخية من نور الإسلام

صفات الله جل شأنه:

مع وجود التناقض والتضارب فإن السيخية أخذت أشياء كثيرة من الإسلام وضمتها إلى نحلته.

منها: بعض صفات الله جل جلاله. فإن الهندوسية تقسم هذه الأوصاف إلى ذوات كثيرة وتؤمن بأزلية الخالق، والروح، والمادة، ومنذ زمن بعيد يحاول علماء الهنادك إقامة الحجج والبراهين على عقيدتهم، ولكن العقل الحر رفض هذه التأويلات بشدة، ولم يخضع لها، وقد كان مصلح السيخيين باتصال مستمر مع علماء الإسلام، فلا غرو إذا أخذ منهم بعض العقائد الإسلامية. ولكن لا ينبغي لأحد من المسلمين أن يفهم من هذا أن "فانك" كان مسلماً في الباطن وهندوسياً في الظاهر، كما يعتقد البعض في الهند وفي الديار الأوروبية، فإنه يجب على كل مسلم أن يفهم بدقة أن الإسلام لا يقبل التجزئة. فمن أخذ بشيء من الإسلام وبشيء من غيره، وخلط بعضه ببعض فالإسلام منه بريء.

ونعود إلى موضوعنا فنقول: إن السيخية تؤمن بتوحيد الله تعالى وتقول: هو أزلي، وخالق، ومحيط، وهو علة العلل، بعيد عن الحسد، والتنافر، وهو ليس إله قوم دون قوم، عادل، رحيم، كريم، لم يخلق البشر ليعذبهم على ذنوبهم، بل لغايته الحقيقية وهي العبادة له^(١).

(١) هكذا يقول الدكتور "جويال جند سنغ" في مقدمة ترجمة "كروكرتها صاحب".

ولا شك أننا نجد في هذه العبارة كثيراً من المعاني التي دعا إليها الإسلام مثل قوله تعالى:

١- ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير﴾^(١).

إلا أنه لم ترد كلمة الأزل والقديم في حق الله سبحانه وتعالى، وإنما ورد ذلك على لسان الفلاسفة فتركه أولى من استعماله.

٢- خالق: قال تعالى: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾^(٢).

٣- وجاء في حديث مشهور يرويه أبو هريرة يقول: جاءت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادماً فقال لها: ((ما عندي ما أعطيك)) فرجعت فاتأها بعد ذلك فقال: ((الذي سألت أحب إليك... أو ما هو خير منه؟)) فقال لها عليّ قولي: لا، بل ما هو خير منه، فقالت، فقال صلى الله عليه وسلم قولي: ((اللهم رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر)). رواه مسلم (٢٧١٣)

(١) سورة الحديد الآية ٣.

(٢) سورة الفرقان الآية ٢.

٤- ليس إله قوم دون قوم: يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

أما برهما (إله الهندوس) فهو رب البراهمة فقط الذين خلقهم من فمه، ويقبل العبادة منهم، والأقوام الآخرون عند الهنادك "جنرال" وهؤلاء لا تحصل لهم النجاة حتى يُولَدُوا في قالب براهمة في حياة أخرى. فالنجاسة عند الهندوسية تحصل من الخلق والولادة بخلاف الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(٢).

فإنها نجاسة الشرك والكفر والظلم، ألا ترى أن المشرك إذا آمن بالله ورسوله وانقاد لأمرهما يدخل في زمرة المؤمنين، والسيخية أخذت هذه العقيدة من الإسلام.

٥- عادل: يقول الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

٦- رحيم: يقول الله تعالى: ﴿وَالْهَكَمَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة الآية ٢١.

(٢) سورة التوبة الآية ٢٨.

(٣) سورة الأنعام الآية ١١٥.

(٤) سورة البقرة الآية ١٦٣.

٧- كريم: يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(١).

وفي موضع آخر: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾^(٢).

٨- الغاية الحقيقية: يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣).

بخلاف الهندوسية والبوذية والجينية التي تؤمن بعقيدة التناسخ وتنقل الأرواح من جسم إلى جسم، فما خلق مخلوق على وجه الأرض إلا بما كسب في الحياة السابقة من الخير والشر، فهو يعذب في هذا السجن المستمر حتى يتحد برهما (خالقه)، ويحصل "النرفانا".

وهكذا نجد أن السيخية تأثرت بالإسلام أكثر من الهندوسية، وأن الكتاب الأساسي عند السيخيين مملوء بلفظ الجلالة وأوصافه الحسنى، والأديان الهندية لا تعرف هذه الأسماء الحسنى ولا تنسبها لذات الله تعالى.

ويستمر الدكتور "جوبال جند سنغ" في بيان عقيدة السيخيين فيقول: "الناس في العدالة الإلهية كلهم سواء لا يميزهم الله بالقوم

(١) سورة الانفطار الآية ٦.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٦.

(٣) سورة الذاريات الآية ٥٦.

والجنس فكل يحاسب على أعماله".

قارن بين هذا وبين الطبقات السائدة عند الهنادك، فالطبقة الوضيعة وهي طبقة "شودرا" أخط وأخس من الحيوان وحشرات الأرض، والطبقة العليا وهي طبقة "البراهمة" أفضل على الإطلاق وهي الطبقة التي تكاد تكون معبودا عند الهنادك. فهذه العدالة الإلهية قد يسميها أهل الهند من لسان سيخي من الهنادك أول مرة في تاريخهم. ولا شك أنها قبست من نور الإسلام.

يقول "نأنك": (إن الرب هو خالق كل شيء من هذه الكائنات بما فيها الأشياء المحسوسة وغير المحسوسة).

ويقول القرآن الكريم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

ويقول "نأنك": (هو لا يحتاج إلى شيء في التخليق).

ويقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هينٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ تَكْ شَيْئاً﴾^(٢).

وفي موضع آخر: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾^(٣).

و"برهما" يحتاج إلى الأرواح، ومادة التكوين في التخليق عند الهنادك.

(١) سورة الصافات الآية ٩٦.

(٢) سورة مريم الآية ٩.

(٣) سورة الإنسان الآية ١.

يقول "نأنك": (هو لا يدرك بالحواس).

ويقول القرآن الكريم: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

هذه الاقتباسات وغيرها تدل دلالة واضحة على مدى تأثير "نأنك" بالإسلام، إلا أنه اختلط عليه بعض العقائد الوثنية فلم يستطع التخلص منها وفشل في محاولته التوفيق بين الملل والنحل، فإن كتابه الذي نال منزلة التقديس عند السيخيين مجمع للأفكار المتضاربة، والأديان المختلفة، والملل المتفرقة، فإنك تجد فيها ترهات فلاسفة الهنادك من أمثال "كبير داس" و"روي داس" و"سورداس" و"برومانتد" وغيرهم، وبعض الحقائق والمعارف التي ينقلها من مشايخ الصوفية من المسلمين من أمثال "بابا فريد كنج شكر" و"بابا مردان خان" و"بابا ستا" وغيرهم ولا شك أنه كان بين هؤلاء المتصوفين وبين فلاسفة الهندوس نزاع شديد في الأفكار والآراء والطرق، وإن كان بينهم تلاحم في الغاية.

وأكثر من هذا، أن دعاة السيخيين يفتخرون بهذا التجميع الفكري بدون أن ينظروا إلى المتناقضات الموجودة فيه وما حدث من أجله من البلايا والمشاكل في فهم أصل الفكرة السيخية.

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٣.

القواعد الخمسة عند السيخيين:

هذه هي القواعد الخمسة التي يلتزم بها كل سيخي أينما كان:

الأولى: "الكيشو": وهو استرسال الشعر من الرأس وإعفاء اللحي فإنه يحرم على سيخي أن يخلق رأسه ولحيته.

الثانية: "الكانغا": وهي عبارة عن الضفائر المجدولة فوق الرأس وذلك تعويضاً عن المشط.

الثالثة: "الكانشنا": يعني اختيار سروال متسع يضيق عند الركبتين. وتحريم لباس "دهوتي" الذي يلبسه الهندوس وهو رداء ستة أمتار يُلفُّ حول الجسد من تحت السرة.

الرابعة: "الكارا": وهو سوار من حديد يلف حول المعصم. ويحرم جميع أنواع الحللي والجواهر.

الخامسة: "الكربال": وهو عبارة عن نوع من السيوف يتحلى به سيخي، لأنه يحتاج إليه لمحاربة أعدائه.

فكرة الرسالة والنبوة:

إن الفكرة المنتشرة بين الهنداك هي عقيدة "أفتار" (ومعناها أن ينزل الرب على الأرض بصورة البشر) - وبنيت استحالتها فيما سبق في العقائد الهندوسية -، ولكن هذه هي الفكرة السائدة بين الهنداك. فهم لا يزالون يؤمنون بالوهمية كل مصلح ديني بما في ذلك "نأنك" وغيره إلا أن مؤسس السيخية لم يقتنع بها، وتأثر بعقيدة الإسلام في إرسال

الرسل والأنبياء من بني آدم وبقيت هذه العقيدة معروفة عند السَّيِّحِيِّين إلى زعيمهم الخامس وهو "أرجن داس" المولود في سنة ١٥٦٣م، والمتوفى ١٦٠١م، ولما تولى رئاسة السَّيِّحِيِّين هذا المصلحُ أعلن بالوهية جميع المصلحين السابقين، وأدخل في السَّيِّحِيَّة عقيدة "أفتار" وإليكم فهرس هؤلاء المصلحين:

١- نَانَك: ١٤٦٩-١٥٣٨م هو مؤسس النحلة السَّيِّحِيَّة.

٢- أنكد: ١٥٠٤-١٥٥٢م.

٣- امر داس: ١٤٧٩-١٥٧٤م.

٤- رام داس: ١٥٣٤-١٥٨١م.

٥- رجن داس: ١٥٦٣-١٦٠٦م.

٦- هر كوبند: ١٥٩٥-١٦٦٤م.

٧- هري رأي: ١٦٣٠-١٦٦١م.

٨- هري كرشنا: ١٦٥٦-١٦٦٤م.

٩- تيغ بهادر: ١٦٢١-١٦٧٥م.

١٠- كوبند سنغ: ١٦٦٦-١٧٠٨م.

هذه هي سلسلة عباقرة السَّيِّحِيِّين تبدأ من "نَانَك" وتنتهي إلى "كوبند سنغ"، وهناك خلاف شديد بين الفرق السَّيِّحِيَّة في بعض هؤلاء فإن المستخلف أحيانا يموت بدون تعيين من يخلف، ثم هل فكرة السَّيِّحِيَّة تطورت واستكملت وهي لا تحتاج إلى المصلحين الجدد؟

وكذلك انقسمت السيخية إلى حزبين، حزب يرى أنه لا حاجة إلى مصلح جديد، "وكوبند سنغ" هو خاتم المصلحين، وحزب يرى ضرورة استمرار هذه السلسلة التي لا نهاية لها. فهذا الحزب ينتخب في كل عصر مصلحا جديدا يشرح لهم أحكام الشريعة، ويقسر لهم الكتاب حسب حاجة الزمن واقتضائه.

هكذا ترى أن الفكرة السيخية التي بدأت بوحدة الأديان، وتقليل المنافسة بين الفرق والمذاهب، فشلت في بغيتها. وظهرت بفكرة جديدة، وقوة ثالثة تجارب في وقت واحد الهندوسية والإسلام. وقد دارت بين السيخيين والمسلمين معارك كثيرة في داخل الهند. وكانت هذه الفرقة سببا رئيساً لفشل الجهاد الإسلامي الذي قاده شهيد الإسلام الشيخ أحمد بن عرفان المعروف بالبريلوي والشاه إسماعيل الشهيد. وانهزم المسلمون على يد هذه الفرقة في ميدان "بالاكوت" وانتهت بانتهاهم دولة إسلامية قوية ظلت ثمانية قرون تحكم بلاد الهند، فاستولى عليها المستعمر البريطاني ومن ذلك اليوم إلى يومنا هذا لم يعد لهذه البلاد حكم الإسلام والله المستعان.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

موضوع البشارات في كتب الهندوس

إن موضوع البشارات في كتب الهندوس شغل بالَ علماء الهند مع اعترافهم بأن كتبهم غير منزلة.

فقد ألّف الشيخ محمد إبراهيم السيالكوتي المتوفى سنة (١٣٧٦هـ) وهو أحد كبار علماء أهل الحديث في الهند رسالة باسم "بشارات محمدية" واختصرها العلامة المناظر الشيخ ثناء الله الأمرتسري المتوفى سنة (١٣٦٧هـ) رئيس جمعية أهل الحديث في الهند باسم "محمد رشي" ونشره الشيخ محمد داود راز سنة (١٣٧٧هـ).

كما ألّف الأستاذ محمد مطيع الرحمن الجاتر فيدي باسم "خاتم النبيين".

وقد ظهر كتاب جديد بقلم شمس نويد العثماني في الموضوع نفسه إلا أنه توسع فيه بما لا تُقرُّه كُتُب القوم كل هؤلاء أرادوا إقامة الحجة على الهندوس من كتبهم.

كما أن غير المسلمين من الهندوس والقاديانيين أيضاً اهتموا بهذا الموضوع. فألّف "عبد الحق الوديارته" القادياني كتاباً باسم "ميثاق النبيين" استقصى فيه جميع البشارات الواردة في كتب غير المسلمين من اليهود والنصارى والهندوس والبوذيين والزرذشتيين. وطبع هذا الكتاب في عام ١٩٣٦م، وترجم إلى عدة لغات عالمية.

كما ألّف في الموضوع نفسه بعض الهندوس منهم: الدكتور

"ويد بر كاش" رسالتين عن البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتب الهندوس.

كما أن الدكتور "راميش برساد" كتب مقدمة لكتاب سلام الله صديقي في الموضوع نفسه، واعترف فيها بأن معنى "نراشنس" بالعربية "محمد" وهو الذي جاء ذكره في "آتور فيدا".

وكلمة "نراشنس" مركبة من "نر" ومعناها الإنسان و"شنس" ومعناها المدح من الناس (PRAISED) يعني الإنسان الذي مدحه الناس. وادعى فقال: من هو هذا؟ غير "محمد" صلى الله عليه وسلم. كما أن القاديانيين في تراجمهم لمعاني القرآن الكريم وتفسيره أشاروا إلى هذا الموضوع بإسهاب.

وقد اشتهر في الأوساط العلمية في الهند السيد "أديار" (ASSYAR) المولود سنة ١٩٣٥م في منطقة "تامل نادو" رئيس تحرير صحيفة يومية "نروتام" بكتابه "الإسلام الذي أحبه" وفيه فصل كامل عن البشارات في كتب الهندوس^(١).

ولكن السؤال الذي يدور في أذهان كثير من الناس هو: كيف تسربت هذه البشارات إلى كتب الهندوس مع أنها غير منزلة. وما هو موقف الهندوس أنفسهم تجاه هذه البشارات؟.

(١) وقد بلغني أنه أسلم.

وللإجابة أقول عن هذه التساؤلات:

١- لعل "الآريين" اقتبسوا هذه البشارات من تعليمات سيدنا إبراهيم عليه السلام، لأنه دعا الله سبحانه وتعالى أن يبعث من ذرية إسماعيل عليه السلام رسولاً كما جاء في القرآن الكريم:

﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

لأنه قد ثبت أن هجرات "الآريين" كانت في الفترة التي ظهرت فيها دعوة إبراهيم عليه السلام في العراق وما حولها. وهي من المناطق التي مرَّ بها "الآريون" في هجرتهم حتى وصلوا إلى السند.

وحملوا معهم بعض الأفكار الكلدانية والبابلية. ثم انكشافها في الأمهار التي وجدت في حفريات "موهان جودار" في وادي السند.

وقد كنت أرى أن "البراهمة" نسبة إلى إبراهيم عليه السلام، ثم وقفت على كلام أبي الفضل السَّكْسَكِي الحنبلي (ت ٧٨٣هـ) في كتابه: البرهان في معرفة الأديان يقول فيه:

"وسُموا براهمة لإقرارهم بالله تعالى، وتكذيبهم بالوسائط وهم الرسل، إلا إبراهيم عليه السلام فإنهم يقولون برسالته فسُموا لذلك براهمة"^(٢).

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

(٢) البرهان في معرفة الأديان، ص ٨٧.

بل وقد ادعى الدكتور "بُران نات" الأستاذ بالجامعة الهندوسية بينارس في مقال نشر في صحيفة "تائمس آف إنديا" (TIMES OF INDIA) في شهري يوليو وأغسطس عام ١٩٣٥ م: "أن جزءاً كبيراً من تعليمات "ريج فيدا" أخذت من التوراة وصحف إبراهيم"^(١). ولكن أين لهذا الباحث الهندوسي أن يطلع على صحف إبراهيم إلا أن يقصد به كتاب جيمس المنسوب إلى إبراهيم باسم (THE BOOK OF ABRAHAMAN) الذي ترجمه من اليونانية وطُبع عام ١٨٩٢ م، أو كتاب جي - إيج - بوكس الذي ترجمه من العبرية إلى اليونانية، ثم تُرجم منها إلى الإنجليزية باسم: (THE TESTAMENT OF ABRAHAMAN).

ولا اعتقد صحة نسبة هذه الكتب إلى إبراهيم عليه السلام. وأما قوله تعالى: ﴿صُحُفْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(٢) فلا نعرف مصير هذه الصحف والغالب أنها فقدت.

٢- إن الهندوس أدخلوا تعديلات كثيرة في كتبهم فمن الممكن أنهم ألحقوا هذه البشارات في كتبهم في العصور الإسلامية إرضاءً للمسلمين.

وقد أفادني الأستاذ سلطان مبین رحمہ اللہ تعالیٰ أستاذ اللغة

(١) ميثاق النبيين، ص ٩٦.

(٢) سورة الأعلى: الآية ١٩.

السنسكريتية بكلية شبلي بمدينة أعظم كره، المختص في أديان الهند، في رسالة بعث بها إلى بتاريخ ١٩٧٩/٦/٢٥ م جواباً عن سؤال وجهت إليه عن البشارات فقال:

"إنها موضوعة، أدخلها الهندوس في كتبهم في العصور المتأخرة كما أنهم ألفوا كتباً في العهد الإسلامي وجعلوها مقدسة ومنزلة مثل كتاب "بهاوشيا بران" وكتاب "كلكي بران"^(١).

وأنا أميل إلى هذا الرأي، لأن معظم كتب الهندوس قد تمت ترجمتها إلى اللغة العربية في عهد المأمون بن الرشيد بدار الحكمة في بغداد، ولكن لم أجد أحداً من المؤلفين السابقين أشار إلى وجود البشارات في هذه الكتب. وهنا أخص بالذكر أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هـ الذي أتقن اللغة السنسكريتية، وترجم كتابين إلى العربية، وألف كتابه الشهير "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة" ولم يشر إلى وجود البشارات في كتب الهندوس.

ولذا يجب الحذر والاحتياط من قبول هذه البشارات، وكنت قد اجتهدت في جمعها وترتيبها من كتب الهندوس ثم أعرضت عنها. وأما موقف علماء الهندوس تجاه هذه البشارات فبعد تتبع أقوالهم تبين لي ما يلي:

١ - منهم من طبق هذه البشارات على زعمائهم وأبطالهم.

(١) ويوجد في هذين الكتابين كثير من البشارات.

- ٢- ومنهم من ينتظر ظهور صاحب هذه البشارات في آخر الزمان.
- ٣- ومنهم من اعترف بوضعها مثل "ديانند" وأتباعه.
- ٤- ومنهم من اعترف بصدقها ولكنه لم يدخل في الإسلام مثل الدكتور "ويد براكاش" والدكتور "راميش برشاد".
- ٥- ومنهم من اعترف بصدقها وأحب أن يدخل في الإسلام ولكنه خاف على نفسه وعلى رئاسته.
- وأما من اختار الإسلام وأعلن به فقد تحمل أنواعاً من العذاب من الضرب والشتم والتشريد. فمن تمكن منهم أن يهرب من أيديهم فقد نجا، ومن بقي في أيديهم فالله أعلم بمصيره.
- ٦- ومنهم من اختار الصمت، فإني كتبت إلى بعضهم في الهند وأرسلت إليه بعض بطاقات البشارات وطلبت منه عرضها على أساتذة الجامعات الهندوسيات فردّ عليّ المرسل إليه: بأن الأساتذة الذين عرضت عليهم هذه البطاقات اختاروا الصمت.
- فقلت: صدق الله العظيم إذ يقول:
- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).
- هذا ما ظهر لي والله تعالى أعلم، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

خاتمة البحث

وفي نهاية البحث أذكر هنا أوجه التباين بيننا وبين الهندوس باختصار كما ذكره البيروني في فاتحة كتابه "تحقيق ما للهند".
فيقول:

أولها: اللغة: وإن تباينت الأمم بمثلها، ومتى رامها أحد لإزالة المباينة لم يسهل ذلك، لأنها في ذاتها طويلة عريضة تشابه العربية، يتسمى الشيء الواحد فيها بعدة أسماء مقتضبة ومشتقة، ويوقع الاسم الواحد على عدة مسميات محوجة في المقاصد إلى زيادة صفات، إذ لا يُفَرَّق بينها إلا ذو فطنة لموضع الكلام وقياس المعنى إلى الوراء والأمام، ويفتخرون بذلك افتخار غيرهم به من حيث هو بالحقيقة عيب في اللغة، ثم هي منقسمة إلى مبتذل لا ينتفع به إلا السوقة، وإلى مصون فصيح يتعلق بالتصاريف والاشتقاق ودقائق النحو والبلاغة، ولا يرجع إليه غير الفضلاء المهرة، ثم هي مركبة من حروف لا يطابق بعضها حروف العربية والفارسية، ولا تُشابهُهما، بل لا تكاد أُلْسِنَتُنَا وهواتنا تنقاد لإخراجها على حقيقة مخارجها، ولا آذَانُنَا تسمع بتمييزها من نظائرها وأشباهها، ولا أيدينا في الكتابة لحكايتها، فيتعذر بذلك إثبات شيء من لغتهم بخطينا لما نضطر إليه من الاحتيال لضبطها بتغيير النقط والعلامات، وتقييدها بإعراب إما مشهور، وإما معمول،

هذا مع عدم اهتمام الناسخين لها، وقلة اكرائهم بالتصحيح
والمعارضة حتى يضيع الاجتهاد، ويفسد الكتاب في نقل له أو
تقلين، ويصير ما فيه لغةً جديدةً، لا يهتدي لها داخل أو خارج
من كليّ الأمتين.

وثانيها: أنهم يُبَيِّنُونَنَا بالدِّيانَةِ مَبَايِنَهُ كَلِيَّةً لا يَقَعُ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْإِقْرَارِ
بِما عندهم، ولا مِنْهُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا عِنْدَنَا، وَعَلَى قَلَّةٍ تَنَازَعَهُمْ فِي أَمْرِ
الْمَذَاهِبِ بَيْنَهُمْ بِمَا سِوَى الْجِدَالِ وَالْكَلَامِ دُونَ الْإِضْرَارِ بِالنَّفْسِ أَوْ
الْبَدَنِ أَوْ الْحَالِ لَيْسُوا مَعَ مَنْ عَدَاهُمْ بِهَذِهِ الْوَتِيرَةِ، وَإِنَّمَا يَسْمُونَهُ
"مَلِيحٌ" وَهُوَ الْقَدْرُ لَا يَسْتَجِيزُونَ مَخَالَطَتَهُ فِي مَنَاحِكَةٍ وَمُقَارَبَةٍ، أَوْ
بِجَالَسَةٍ وَمُؤَاكَلَةٍ وَمُشَارَبَةٍ مِنْ جِهَةِ النِّجَاسَةِ، وَيَسْتَقْدِرُونَ مَا
تَصْرِفُ عَلَى مَائِهِ وَنَارِهِ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارُ الْمَعَاشِ، ثُمَّ لَا مَطْمَعُ فِي
صَلَاحٍ ذَلِكَ بِحِمْلَةٍ، كَمَا يَطْهَرُ النِّجَسُ بِالْإِنْخِيَازِ إِلَى حَالِ الطَّهَارَةِ،
فَلَيْسَ بِمَطْلُوقٍ لَهُمْ قَبُولُ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ إِذَا رَغِبَ فِيهِمْ، أَوْ صَبَأَ إِلَى
دِينِهِمْ، وَهَذَا مِمَّا يَفْسُخُ كُلَّ وَصْلَةٍ، وَيُوجِبُ أَشَدَّ قَطِيعَةٍ.

وثالثها: أنهم يُبَيِّنُونَنَا فِي الرُّسُومِ وَالْعَادَاتِ حَتَّى كَادُوا أَنْ يُخَوِّفُوا
وَلَدَانَهُمْ بِنَا وَبِزِينَتِنَا وَهَيَاتِنَا، وَيَنْسُبُونَنَا إِلَى الشَّيْطَانَةِ وَإِيَّاهَا إِلَى
عَكْسِ الْوَاجِبِ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ النِّسْبَةُ لَنَا مُطْلَقَةً، وَفِيمَا بَيْنَنَا بَلْ
وَبَيْنَ الْأُمَمِ بِأَسْرَهُمْ مُشْتَرَكَةٌ، وَعَهْدِي بِبَعْضِهِمْ وَهُوَ يَنْقُمُ مِنَّا بِأَنْ
أَحَدٌ مَلُوكُهُمْ هَلَكَ عَلَى يَدِ عَدُوٍّ لَهُ قَصَدَهُ مِنْ أَرْضِنَا، وَخَلَّفَ

جنينا مُلْك بعده وسمي "سبكر" وحين الإيقاع سأل أمه عن حال أبيه فقصّت عليه القصة، فامتعض لها، فبرز من أرضه إلى أرض العدو، واستوفى نَزَرَه من الأمم حتى ملّ الإثخان والنكاية، فالزم البقية هذا التزيي بزينا إذلالاً لهم وتنكيلاً. فشكرتُ فعله لما سمعته إذ لم يَسْمُنَا التَهْنَدُ والانتقال إلى رسومهم.

ورابعها: وما زاد في النفار والمباينة أن الفرقة المعروفة بالشمسية على شدة البغضاء منهم للبراهمة هم أقرب إلى الهند من غيرهم، وقد كانت خراسان وفارس والعراق والموصل إلى حدود الشام في القديم على دينهم إلى أن نجم "زردشت"^(١) من أذربيجان، ودعا ببلخ^(٢) إلى المجوسية، وراجت دعوته عند "كشتاسب"، وقام بنشرها ابنه "إسفنديار" في بلاد المشرق والمغرب قهراً وصلحاً. ونصب نيوت النيران من الصين إلى الروم، ثم استصفى الملوك

(١) ولد بمدينة الرى سنة (٦٦٠ ق.م) ومات سنة (٥٨٣ ق.م) وكان من قوم "مغ" [MAGUS] والكتاب الديني للزردشتيين اثنان، هما: "دساتير" و"زنداوستا" كتبا باللغة البهلوية وفيها شيء كثير عن التوحيد. والزردشتيون اليوم يعبدون النار.

(٢) لأن قومه لم يؤمنوا به فتوجه إلى بلخ ودخل على ملك بلخ "كشتاسب" فدعاه إلى نخلته فأمن به فبدأ ينشر دينه بسرعة وأرسل المبلغون إلى الآفاق ووقعت الحرب بين التورانيين وأهل فارس فقتله توارني.

بعده فارس والعراق لملتهم فأنجلت "الشمسية" عنها إلى مشارق بلخ، وبقي المجوس إلى الآن بأرض الهند ويسمون بها "مغ"^(١)، وكان ذلك بدو النصارى عن جنبه خراسان فيهم إلى أن جاء الإسلام وذهبت دولة الفرس، فزادهم غزو أرضهم استباحوا لما دخل محمد بن القاسم بن المنبه أرض السند من نواحي سجستان، وافتتح بلد "مهنوا" وسماه "منصورة"، وبلد "مولستان" وسماه "معمورة"، وأوغل في بلاد الهند إلى مدينة "قنوج"، ووطئ أرض القندهار، وحدود كشمير راجعاً يعارك مرة، ويصالح أخرى، ويقر القوم على النحلة إلا من رضي منها بالنقلة، وغرس ذلك في قلوبهم السخائم، وإن لم يتجاوز بعده من الغزاة حدود كابل، وماء السند أحد إلى أيام الترك حين تملكوا بغزنة في أيام السامانية، ونابت الدولة ناصر الدين سبكتكين، فأثر الغزو، وتلقب به وطرق لمن بعده في توهين جانب الهند طرقاتاً سلكها يمين الدولة محمود رحمهما الله نيفاً وثلاثين سنة، فأباد بها خضراءهم^(٢)، وفعل من الأعاجيب في بلادهم ما صاروا به هباء منثوراً، وسمر مشهوراً، فبقيت بقاياهم المتشردة على غاية التنافر والتباعد عن المسلمين، بل كان ذلك

(١) وهو قوله الذي ينتسب إليه، ويقال لهم أيضاً: [MAGIAN] بمعنى الساحر.

(٢) أي سوادهم.

سبب انمحاق علومهم عن الحدود المفتحة، وانجلائها إلى حيث لا تصل إليه اليد بعد كشمير وبانارسي وأمثالهما، مع استحكام القطيعة فيها مع جميع الأجانب. بموجب السياسة والديانة. وبعد ذلك أسباب ذكرها كالطعن فيهم، ولكنها حافية في أخلاقهم، غير خفية، والحمق داءٌ لادواء له.

وخامسها: أنهم يعتقدون في الأرض أنها أرضهم، وفي الناس أنهم جنسهم، وفي الملوك أنهم رؤساؤهم، وفي الدين أنه نحلتهم، وفي العلم أنه ما معهم، فيترفعون ويتبظرمون، ويُعجبون بأنفسهم فيجهلون، وفي طباعهم الضنُّ بما يعرفونه، والإفراط في الصيانة له عن غير أهله منهم، فكيف عن غيرهم، على أنهم لا يظنون أن في الأرض غير بلدانهم، وفي الناس غير سكانها، وأن للخلق غيرهم علماً حتى أنهم إن حُذِّثوا بعلم، أو عالم في خراسان، وفارس استجهلوا المخبر، ولم يصدقوه للآفة المذكورة، ولو أنهم سافروا وخالطوا غيرهم رجعوا عن رأيهم، على أن أوائلهم لم يكونوا بهذه المثابة من الغفلة.

هذه بعض أوجه التباين بيننا وبين الهندوس التي أدت إلى المنافرة والمخاصمة، ذكرها البيروني في كتابه المشهور "في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة".

وفي نظري أن من أكبر أسباب عداوة الهندوس للمسلمين عدم

فهمهم لطبيعة الرسالة الإسلامية وبخاصة عقيدة التوحيد. لأن المتصوفين من المسلمين الهنود شوَّهوا العقيدة الإسلامية الصحيحة التي دعا إليها القرآن والسنة، وكان عليها خيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وجاهد لأجلها إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وسار على نهجه شيخ الإسلام ابن تيمية ومن بعده من أئمة أهل السنة.

ولكن هؤلاء المتصوفين خلطوا بين العقيدة الإسلامية وبين العقيدة الوثنية. وأوضح دليل على ذلك كثرة الأضرحة على القبور في الهند وأعمال الشرك فيها بكل معانيه، كالطواف والسجود والاستغاثة والنذر وما إلى ذلك وكل هذا ما يفعله الهندوس لأصنامهم في معابدهم.

علاوة على ذلك فإن كتاب الهندوس قد نشرُوا أكاذيب وأباطيل حول الإسلام وعقيدته، وحول رسولنا الكريم وتاريخنا العظيم. والطالب الهندوسي في بداية مراحل تعليمه يُسيئ الظن بالإسلام والمسلمين وبتعاليمه السامية. فوجب على مسلمي الهند أن ينقلوا أمهات الكتب الإسلامية إلى الهندية.

وزد على ذلك أن المسلمين حكموا الهند قرابة ثمانية قرون، ولكن لم نر فيهم من اهتم بنشر الدعوة الإسلامية الصحيحة عقيدة وسلوكاً إلا من رحمه الله تعالى بين رعاياه الهندوس، بل زاد الطين بلة أن

المسلمين اهتموا بترجمة الكتب الهندوسية، مثل: "الفيدات"، و"الكيتا"، و"الرامايان" إلى اللغتين العربية والفارسية، ولم يهتموا بترجمة معاني القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والسيرة الطيبة، وسير الخلفاء الراشدين، والصحابة الآخرين، ومن بعدهم من التابعين، وكتب العقيدة الصحيحة إلى اللغة السنسكريتية، والبراكرتية - وهي لغة الشعب - بل إلى يومنا هذا لم يترجم معاني القرآن الكريم باللغة الهندية ترجمة موثقة، وقد اطلعت على بعض الترجمات الموجودة في المكتبات فوجدتها غير دقيقة تحتاج إلى إعادة النظر - ومن الأفضل أن يترجم من جديد من قبل علماء معروفين عقيدة وسلوكاً.

وإنه لمفخرة عظيمة لحكومتنا العربية السعودية - أدامها الله وحفظها من حسد الأعداء - أن تقوم بخدمة كتاب الله العزيز. فقد يَسِّر الله إنشاء مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية لنشر كتاب الله وترجمة معانيه وتفسيره باللغات المختلفة.

وإنه لموضع اعتزاز وفخر لكل مسلم على وجه الأرض أن يرى ترجمة معاني كتاب الله وتفسيره باللغات المختلفة تنشر على هذا النطاق الواسع لأول مرة في تاريخ الإسلام الطويل. فلله الحمد أولاً وآخراً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بعض المراجع والمصادر

المراجع العربية:

النوع الأول:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - كتب السنة المطهرة.
- ٣ - كتب السير والمغازي.
- ٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم.
- ٥ - أديان العالم الكبرى: لحبيب سعيد.
- ٦ - حضارة الهند: لغوستاف لوبون.
- ٧ - تحقيق ما للهند: لأبي الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هـ).
- ٨ - أديان الهند الكبرى: للدكتور أحمد شلي.
- ٩ - الهند والعرب في عهد الرسالة: للقاضي أطهر المباركفوري.
- ١٠ - الترجمة العربية لكتاب "الكيتا".
- ١١ - الترجمة العربية لكتاب "منو إسمرتي" يعني "شريعة منو".
- ١٢ - العقيدة والشريعة: لجولدتسيهر - المترجم بالعربية - مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
- ١٣ - الملل والنحل: للشهرستاني.
- ١٤ - قصة الحضارة: لول ديورانت - المترجم بالعربية - الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية - بالقاهرة ١٩٦٨ م.

- ١٥ - البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: لأبي الفضل السكسكي الحنبلي (ت ٦٨٣هـ).
- ١٦ - مقالات عن الهندوسية للمؤلف في مجلة الجامعة الإسلامية.
- ١٧ - ديانات قديمة للشيخ أبو زهرة.
- ١٨ - مشكلة الألوهية: للدكتور محمد غلاب-دار إحياء الكتب العربية-بالقاهرة.

النوع الثاني: المراجع الهندية

- ١ - الفَيَدَاتُ الأربعة: ريج فيدا، سام فيدا، آتور فيدا، ياجور فيدا.
- ٢ - بَهَا وَشَيَا بُورَانُ: ترجمة هندية لرام شرما-مدينة بريلي.
- ٣ - رَامَايَانُ. (ملحمة رام) إلا أني لم أقف على الترجمة العربية.
- ٤ - مَهَا بَهَارَتُ بَهَاشَا: جو كيش-مدينة دلهي.
- ٥ - مَهَا بَهَارَتُ: ترجمة هندية.
- ٦ - أُبَانِشَادُ: تفسير جمن لال غوتام-مدينة بريلي.
- ٧ - الْبَهَكْفَتَ دَرُشَنُ: رام شرما-مدينة بريلي.
- ٨ - هِنْدُو دَهْرَمَ كُوشُ: للدكتور راج بلي بانديت-مدينة لكتنو.
- ٩ - فِيدِكُ إِنْديكْسُ: ترجمة رام كمار-مدينة بنارس.
- ١٠ - مَنُو إِسْمِيرَتِي: ترجمة الدكتور جمن لال غوتام-مدينة بريلي.
- ١١ - سَتِيَارَتُ بَرُكَاشُ: ديانند.
- ١٢ - وَشَيَا دَهْرَمَ دَرُشَنُ: بهاري لال نندا-مدينة بتنه.

- ١٣- سَنَسَكِرْتُ كِي جَارُ أَدهِيَاي: رام دهاري سنغ-مدينة دالي.
- ١٤- فِيدِكْ دَهْرَمْ دَرُشَن: نريندر ديو-مدينة بتنه.
- ١٥- نَرَاشَنَسْ أَوْرَ أَنْتِم رِشِي: ويد بر كاش-مدينة إله آباد.
- ١٦- كَلِكِي أَفتَارَ أَوْرَ مُحَمَّد صلي الله عليه وسلم: ويد بَرُكاش-مدينة إله آباد.
- ١٧- مُوَهَانُ جُودَارُ: ستيش جندر-مدينة كاشي.
- ١٨- بُودَا دَرُشَن: راهول سنسكرتايان.
- ١٩- أَنْتِم أَفتَارَ: الأستاذ مطيع الرحمن الجاترفيدي-مدينة مظفر فور.
- ٢٠- مجلة "كَانْتِي" الأسبوعية بالهندية.
- ٢١- أَهْنَسَا أَوْرُسْتِيَا: رام نات سمن.

الأردية

النوع الثالث:

- ١- البهكفت كيتا: ترجمة حسن الدين أحمد-دهلي.
- ٢- وادي سند كي تهذيب: ترجمة محمد إدريس الصديقي.
- ٣- وادي سند أَوْرَ أَس كي بعد كي تهذيب: سرمور تيلر-دهلي.
- ٤- دلائل القرآن بجواب افتراء ديانند وبهتان: الرام نكري-بنارس.
- ٥- قديم هندي فلسفة: راي شيو موهن لعل-دهلي.
- ٦- حق بر كاش: الشيخ ثناء الله الأمرتسري.
- ٧- أواكمن كا تحقيقي جائزة: الرام نكري-بنارس.
- ٨- محمد رشي: الشيخ ثناء الله الأمرتسري-مبائ.

- ۹- آریا سماجي عقیدہ نجات: الرام نکري-بنارس.
- ۱۰- ويد کي قدامت: سيد حامد علي.
- ۱۱- عشق أو بهکتی: عماد الحسن الفاروقي-دھلي.
- ۱۲- جديد هندوستان مين ذات بات: سري نواس-دھلي.
- ۱۳- قديم هندوستان کي ثقافت وتهذيب: کوسمي-دھلي.
- ۱۴- اکراپ بهي نه جا کي تو: شمس نويد عثمانی-رام فور.
- ۱۵- السيخ والعلمانية-لکرتار سيخ.
- ۱۶- آریا سماج کي تاريخ-لاله لاجبت رائی-دھلي.
- ۱۷- هندو دهرم کي جديد شخصيتين. محمد فاروق خان-دھلي.
- ۱۸- سيخ مذهب. محمد رفيق خان، الجامعة السلفية-بنارس.
- ۱۹- هندوستانی مذاہب-عدد خاص لصحيفة "الدعوة".
- ۲۰- هندوستانی تهذيب کا مسلمانوں پر اثر-الدكتور محمد عمر-عليکره.

فهرس الموضوعات

العناوين	الصفحات
مقدمة	١
منهجي في الكتاب	٢
لمحة تاريخية عن جغرافية الهند:	١٧-٥
أصل سكان الهند	٥
هجرات الآريين إلى بلاد الهند	٨
انضمام أهل الهند إلى المجتمع الهندوسي	١٤
غارة الأفكار الجديدة على الهندوسية	١٤
مؤسس الهندوسية	١٤
مشكلة العقيدة في الهندوسية	١٥
اسم الهندوسية	١٦
مراحل تدوين الكتب الهندوسية:	١٧٠٢٠
الدور الأول	١٨
الدور الثاني	١٨
الدور الثالث	١٨
الدور الرابع	١٨
الدور الخامس	١٩
الدراسة حول المصادر الأساسية:	٧٤-٢٠

- ١- الفيدات ٢٠
ريج فيدا ٢٣
ياجور فيدا ٢٤
سام فيدا ٢٥
آتور فيدا ٢٥

الاتجاهات التفسيرية للفيدات:

- الأول: تفسير ستارام سايان ٢٥
الثاني: تفسير ماكس مولار ٢٦
الثالث: تفسير ديانند ٢٦
ترجمة ديانند وجماعة آريا سماج: ٢٧

- ٢- الأبنشاد ٢٩
٣- البران ٣٤
٤- مها بهارت ٣٦
٥- الكيتا ٣٨
٦- رامايان ٤٠
٧- الفيدانت ٤٥

اتجاهات مفسري الفيدانت:

- الاتجاه الأول ٤٧
الاتجاه الثاني ٤٧

- أهم الفرق بين الاتجاهين ٤٧
- ٨- الیوجا فاسشتا ٤٩
- ٩- دهرم شاسترا ٥٢
- الطبقات في المجتمع الهندوسي: ٧٤-٥٥
- الطبقة الأولى: البراهمة ٥٨
- الطبقة الثانية: الكشتری ٦٠
- الطبقة الثالثة: الویش ٦١
- الطبقة الرابعة: السودرا ٦٣
- دخول المبوذین فی الإسلام ٦٦
- الفقه الهندوسي: ٨٢-٧٤
- برهما جاریا آشرم ٧٥
- کرهستا آشرم ٧٩
- بان برست آشرم ٨٠
- سنیاس آشرم ٨١
- أحكام الأسرة: ٨٧-٨٣
- النکاح ٨٣
- تعدد الزوجات ٨٣
- نکاح الأرامل ٨٤
- تحریم القرابة فی النکاح ٨٦

- ٨٦..... الزواج في السن المبكرة
- ٨٦..... المتعة
- ٨٧..... الحجاب
- ٨٧..... الاعتزال في حالة الحيض
- ٩٤-٨٨..... الفرق الهندوسية:
- ٨٨..... فرقة فشنو
- ٨٩..... فرقة سيفا
- ٩٠..... عبادة الأصنام
- ٩٣..... عبادة الأبقار
- ٩٩-٩٥..... العبادات في الهندوسية:
- ٩٥..... الصلاة
- ٩٦..... الصوم
- ٩٨..... الحج
- ١٢٨-١٠٠..... أهم العقائد الهندوسية:
- ١٠٠..... ١- خلق الكائنات في الفكر الهندوسي
- ١٠٧..... ٢- عقيدة أفتار
- ١١٣..... ٣- عقيدة التناسخ
- ١٢٣..... ٤- عقيدة الكارما
- ١٢٤..... ٥- عقيدة النرفانا

البوذية

تاريخها وأهم معتقداتها

- ١٢٩ تاريخ موجز عن نشأة البوذية
- ١٣٤ تعليمات بوذا
- ١٣٩ الألوهية في البوذية
- ١٤٥ المجالس البوذية
- ١٤٦ الفرق البوذية
- ١٤٧ العبادة عند البوذية
- ١٤٩ ترانيم البوذيين عند العبادة
- ١٥٠ إشاعة البوذية

الجينية

تاريخها وأهم معتقداتها

- ١٥٢ موجز تاريخها
- ١٥٤ الفرق الجينية
- ١٥٦ الاختلاف الأساسي بين الفرق الجينية
- ١٥٨ العقائد الرئيسة عند الجينيين
- ١٥٩ الألوهية عند الجينيين
- ١٦٠ طبقات الرجال الدينيين عند الجينيين
- ١٦١ فلسفة عبادة الأصنام عند الجينيين

أثر الجينية على الهندوسية والبوذية ١٦٢

السيخية

تاريخها وأهم معتقداتها

الجو الفكري عند ظهور السيخية ١٦٦

وحدة الأديان ١٧٠

قبسات السيخية من الهندوسية ١٧٣

قبسات السيخية من نور الإسلام ١٨٤

القواعد الخمسة عند السيخيين ١٩٠

فكرة الرسالة والنبوة ١٩٠

موضوع البشارات في كتب الهندوس ١٩٣

خاتمة البحث ١٩٩

أوجه التباين بيننا وبين الهندوس ١٩٩

الإشادة بإنشاء مجمع الملك فهد ٢٠٥

أهمية ترجمة معاني القرآن باللغة الهندية ٢٠٥

بعض المراجع والمصادر ٢٠٦

فهرس الموضوعات ٢١٠

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

صدر للمؤلف:

١. أفضية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن الطلاع القرطبي (دارسة وتحقيق) الطبعة الثانية.
 ٢. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (دراسة وتحقيق) الطبعة الأولى.
 ٣. أمالي ابن مردويه (دراسة وتحقيق) الطبعة الأولى.
 ٤. فتح الغفور في وضع الأيدي على الصدور للسندي (دراسة وتحقيق) الطبعة الأولى.
 ٥. دراسات في الجرح والتعديل. (تأليف) الطبعة الثالثة.
 ٦. اليهودية والمسيحية. (تأليف) الطبعة الأولى.
 ٧. التمسك بالسنة في العقائد والأحكام. (تأليف) الطبعة الأولى.
 ٨. فصول في أديان الهند (تأليف) هو هذا.
 ٩. دعوة القرآن باللغة الهندية لغير المسلمين. (تأليف) الطبعة الخامسة.
 ١٠. السنن الصغرى للبيهقي الجزء الأول (دراسة حديثة فقهية) والعمل مستمر فيه، وسماء: المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى. اهتم فيه المؤلف - مع التخريج - ببيان فقه الحديث وذكر أقوال العلماء وأدلتهم وبيان الرّاجح في الموضوع على طريقة المحدثين، ومن المتوقع أنه يكمل في حدود أربعة آلاف صفحة إن شاء الله تعالى.
- ولله الحمد أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.